مجلة جامعة حمص

سلسلة العلوم التاريخية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 48 . العدد 1

1447 هـ - 2026 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
صعوبات الحكم العثماني في اليمن 1538-1554م (حروب وصراعات)	محمد سيف الدِّين زكي د.علاء الدِّين جبور د.عبد الودود مقشر	36-11
التميز في عهد الملك رمسيس الثالث (1151 – 1182) ق.م ما بين الحرب والدفاع عن مصر والإستقرار فيها والتمرد والمؤامرة في الداخل	مها ادورد الأحمر أ.د. جهاد سمعان عبود	66-37
سياسة إبراهيم باشا المالية والاقتصادية في بلاد الشام (1831- 1841)	رشا كميل إبراهيم علاء الدين وسام عيّاش	86-67
الموقف العراقي من تأثير الأحداث السياسية العربية على الأوضاع في لبنان 1970-1974	الين علي حمدان إبراهيم علاء الدين	112-87

صعوبات الحكم العثماني في اليمن 1538-1554م (حروب وصراعات)

طالب الدكتوراه: محمد سيف الدِّين زكي- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اللاذقية

إشراف: د.علاء الدِّين جبور+ د.عبد الودود مقشر

-الملخَّص-

شهدت اليمن في الفترة بين (1538 و1554م) صعوبات كبيرة في حكم الولاة العثمانيين، نتيجة حروبهم المتكررة مع الأئمة الزيديين والصراعات الداخلية ضمن الأسرة الزيدية نفسها، فبدأ الوالي مصطفى عزت بمحاولات التوسع خارج زبيد، لكن محاولته الاستيلاء على تعز فشلت أمام قوة الزيديين، ما عزز من نفوذ الإمام يحيى شرف الدين وأبناءه في المناطق الشمالية والجهات التهامية، وتبع ذلك عهد مصطفى النشار، الذي تميز بهدوء نسبي على الجبهات، إلا أن الصراعات الداخلية بين أبناء الإمام يحيى، خاصة بين المطهر وشمس الدين، أتاحت للعثمانيين فرصًا محدودة للتدخل، كما حدث مع وصول أويس باشا الذي استغل خلافات الإمامة لمحاولة توسيع النفوذ العثماني.

وفي عهد أزدمر باشا، تكثفت الحملات العسكرية العثمانية ضد الزيديين، مع صعوبات كبيرة بسبب التضاريس الوعرة والخبرة العسكرية المحدودة لدى القوات العثمانية، ورغم استخدام العثمانيين للمدافع والآلات الحربية، فإن الحصون الزيدية وتحالفاتهم مع الأشراف حالت دون السيطرة الكاملة.

الكلمات المفتاحية: اليمن، العثمانيون، الأئمة الزيديون، صراعات داخلية، تعز، أزدمر باشا، الحصون، النفوذ العسكري.

Difficulties of Ottoman Rule in Yemen, 1538–1554 (Wars and Conflicts)

Phd Candidate: Muhammad Saif Al-Din Zaki -Department Of History - Faculty Of Arts And Humanities - Latakia University

Supervisors: Dr. Alaa Al-Din Jabour + Dr. Abdul Wadoud Muqashar

-Summary–

Between(1538 and 1554,) Yemen experienced significant challenges under Ottoman governors due to repeated wars with the Zaidi imams and internal conflicts within the Zaidi family. Governor Mustafa Izzat attempted to expand beyond Zabid, but his effort to capture Taiz failed against the strong Zaidi forces, which strengthened the influence of Imam Yahya Sharaf al-Din and his sons in the northern regions and the Tihama areas.

This was followed by the rule of Mustafa al-Nashar, characterized by relative calm on the fronts; however, internal disputes among Imam Yahya's sons, especially between al-Mutahhar and Shams al-Din, provided the Ottomans with limited opportunities to intervene, as seen during the arrival of Uways Pasha, who exploited the succession disputes to extend Ottoman influence.

Under Azdemir Pasha, Ottoman military campaigns against the Zaidis intensified, facing great difficulties due to the rugged terrain and limited experience of the Ottoman forces. Despite the use of artillery and war machinery, Zaidi fortresses and their alliances with the Ashraf prevented full Ottoman control.

Keywords: Yemen, Ottomans, Zaidi Imams, internal conflicts, Taiz, Azdemir Pasha, fortresses, military influence.

المقدمة:

عاشت اليمن خلال الفترة بين (1538 و1554م) مرحلة حرجة في تاريخها السياسي والعسكري، حيث واجهت الإدارة العثمانية تحديات كبيرة في السيطرة على المناطق المختلفة نتيجة الحروب المستمرة مع الأئمة الزيديين والصراعات الداخلية داخل الأسرة الزيدية نفسها.

حاول الولاة العثمانيون فرض نفوذهم وتوسيع سيطرتهم من زبيد نحو تعز والشمال، إلا أن المقاومة الزيدية، إلى جانب التحالفات القبلية والسياسية المحلية، شكَّلت عقبات حقيقية أمام جهودهم، كما أسهمت الخلافات بين أبناء الإمام يحيى شرف الدين، خاصة بين المطهر وشمس الدين، في إتاحة فرص محدودة للتدخل العثماني، فيما تكثفت الحملات العسكرية في عهد أزدمر باشا، لكن تضاريس اليمن الوعرة والخبرة المحدودة للقوات العثمانية حالت دون تحقيق السيطرة الكاملة. تعكس هذه الفترة صعوبات الحكم العثماني في اليمن وتعقيدات إدارة السلطة ضمن بيئة سياسية وعسكرية متشابكة.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تتجلى أهمية هذا البحث في استكشاف الصعوبات والتحديات التي واجهها الولاة العثمانيون في اليمن خلال الفترة الواقعة بين 1538–1554م، وما صاحبها من حروب مع الأئمة الزيديين وصراعات داخلية ضمن الأسرة الزيدية أثرت على ميزان القوى في المناطق الشمالية والجنوبية لليمن. كما أنَّ الموقع الاستراتيجي لليمن على الممرات التجارية والطرق البحرية جعلها منطقة محط اهتمام الدولة العثمانية، الأمر الذي انعكس على سياسات النفوذ العسكري والحكم المحلي في تلك الفترة. ويُبرز هذا البحث مدى تأثير هذه الأحداث على التاريخ السياسي والعسكري لليمن في القرن السادس عشر، وهو ما يبرر اختيارنا لهذه الفترة لدراستها وتحليلها.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

يطرح البحث عدَّة تساؤلات، ويحاول الإجابة عن أهمَّها:

1. ما دوافع اهتمام الدولة العثمانية بالسيطرة على اليمن خلال الفترة (1538-1554م) رغم الصعوبات العسكرية والسياسية؟
2. ما العوامل التي مكّنت الأئمة الزيديين والقوى المحلية من الحفاظ على نفوذهم ومواقعهم رغم التقدم العثماني؟
3. كيف أثرت الصراعات الداخلية ضمن الأسرة الزيدية على سير الحروب وتوازن القوى في اليمن؟
4. ما دور الموقع الاستراتيجي والخصائص الجغرافية في تحديد نتائج الحملات العثمانية؟

مصطلحات البحث:

اليمن – الدولة العثمانية – الأئمة الزيديون – الولاة العثمانيون – حصون – صراعات داخلية – تعز – نفوذ عسكري – الحملات العسكرية – أزدمر باشا.

الدراسات السابقة:

1- كتاب روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح، للمؤرخ عيسى ابن لطف الله شرف الدين، والذي قام بتحقيقه إبراهيم أحمد المقحفي، وطبع ونشر في صنعاء سنة 2003م، بمركز عبادي للنشر والتوزيع.
وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أنَّ مؤلفه هو حفيد أحد الزعماء الزيديين البارزين خلال فترة البحث وهو المطهر بن الإمام شرف الدين، وأرَّخ المؤلف لفترة عاش أحداثها وعاصرها بصورة مباشرة، فقد كتب عن الفترة بين عامي(1495-1620م)، وجاء الكتاب على شكل تأريخ سنوي للأحداث الممتدة ما بين (1495-1620م)، فتكلَّم عن أهم ما جرى في هذه السنوات

مـن مشـاكل وحـروب ويمكـن القـول أنَّـه يلقـي ضـوءً كبيـراً علـى أوضـاع الأئمـة الزيديين في فترة بحثنا سواء

2- كتـاب الفـتح العثمـاني الأول للـيمن (1538-1635م)، للمـؤرخ سـيد مصـطفى سـالم، تمـت طباعتـه ونشـره فـي القـاهرة بـدار الأمـين للطباعـة والنشـر سـنة (1999م).

ويتحـدث فيـه الكاتـب عـن أوضـاع الـيمن فـي أثنـاء السـيطرة العثمانيـة بالتفصـيل، ويتنـاول أغلـب المعـارك الـدائرة بـين الجـيش العثمـاني والأئمـة الزيـديين، ومما يزيـد القيمـة العلميـة لهـذا الكتـاب اعتمـاد المؤلـف فـي مصـادره علـى المخطوطـات التاريخية وعلى المصادر المعاصرة للبحث.

3- كتـاب البـرق اليمـاني فـي الفـتح العثمـاني، طبـع ونشـر فـي الريـاض لـدى منشـورات دار اليمامـة بطبعتـه الأولـى سـنة (1967م)، وهـو للمـؤرخ قطـب الـدّين محمـد بـن أحمد النهروالي المكي والذي عاش بين (1512-1582م).

ويـتكلَّم الكتـاب عـن الحمـلات العثمانيـة المتكـررة لإخضـاع الـيمن للسـيطرة المباشـرة، وبمـا أنّ الكاتـب كـان مفتـي مكَّـة وأحـد قضـاتها الرسـميين فـي فتـرة البحـث فسـنجد أنَّـه تعـاطف مـع العثمـانيين فـي كتاباتـه وانحـاز إلـيهم انحيـازاً واضـحاً، ولكـن علـى الـرغم مـن ذلـك فهـو يقـدم معلومـات قيمـة عـن وضـع العثمانيين في اليمن منذ تبعيته لهم سنة (1517وحتَّى سنة 1572م).

منهجية البحث:

تـمَّ الاعتمـاد فـي هـذا البحـث علـى المـنهج التـاريخي، القـائم علـى جمـع المعلومـات مـن المصـادر والمراجـع المختلفـة المتعلقـة بفتـرة (1538-1554م) فـي الـيمن، ودراسـتها وتحليلهـا ونقـدها، ومـن ثـم إعـادة تنظيمهـا وفـق تسلسـل منطقـي يعكـس التطـورات السياسـية والعسـكرية فـي الـيمن خـلال هـذه الفتـرة، ويقـدم للقـارئ صـورة واضـحة عـن صـعوبات الحكـم العثماني وحروبهم مع الأئمة الزيديين.

المناقشة:

أولاً: بدايات التوسع العثماني وتفكك الصفّ الزيدي 1538-1545م:

عينت الدولة العثمانية مصطفى عزت[1] والياً على اليمن سنة (1538م) فحاول هذا الوالي بناء على توجيهات سليمان باشا الخادم[2] أن يتوسع خارج إطار زبيد وعمل على هذا بعد أن ضبط زبيد وما حولها، ومن ثمَّ توجَّه إلى تعز وضرب عليها الحصار سنة (1539م) وكان واليها الزيدي[3] آنذاك الفقيه يحيى بن إبراهيم النصيري في صنعاء حين مهاجمة الجيش العثماني للمدينة، لكنَّ الأمراء الزيديين الذين كانوا فيها نجحوا في التصدي للهجوم العثماني الكثيف على تعز، في الوقت الذي أمر به الإمام يحيى شرف الدّين[4] يحيى بن إبراهيم النصيري بالتوجه إلى تعز لفك الحصار العثماني عنها فتقدم الأخير إلى جبل التعكر، وأرسل الإمام بعد فترة ابنه شمس الدّين

---

[1] مصطفى عزت نائب غزة وهو من الأمراء العثمانيين الذين اشتركوا بحملة سليمان باشا الخادم، النهروالي. قطب الدّين محمد بن أحمد ، 1967م: البرق اليماني في الفتح العثماني، ط1، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص86.

[2] سليمان باشا الخادم هو قائد وعسكري عثماني بارز قاد الحملة العثمانية الأولى على اليمن في سنة 1538م بأمر من السلطان سليمان القانوني، وذلك في إطار محاولة الدولة العثمانية توسيع نفوذها في جنوب شبه الجزيرة العربية والسيطرة على الموانئ الاستراتيجية لطرد النفوذ البرتغالي وتأمين طرق التجارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، الصديقي. محمد بن أبي السرور البكري، 1995م: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: ليلى الصبّاغ، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص149-152.

[3] ينتسب الزيديون إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي عاش في العصر الأموي، ودعا لنفسه بالكوفة سنة 119ه/ 738م، ولقد انتشر الذهب الزيدي في اليمن خلال العصر العباسي على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الذي قدم إلى صعدة سنة 284ه/ 897م، ويرى الزيديون أنَّ الخلافة يجب أن تكون إمامية ومحصورة بذريَّة علي بن أبي طالب من زوجته فاطمة بنت الرسول محمد صلّى الله عليه وسلَّم، وهناك عدَّة شروط يجب أن تتوافر في الإمام غير موضوع النسب، فلا بد أن يكون (مكلّفاً- ذكراً- حراً- مجتهداً- عدلاً- ورعاً- سليم العقل- سليم الحواس- سليم الأطراف- صاحب رأي وتدبير- مقدام- فارس ....إلخ)، وعلى الرغم من هذه الشروط فإنَّ المذهب الزيدي أجاز أن يُختار الإمام من خارج البيت الفاطمي شريطة أن يجاهر بالدعوة لنفسه، وكذلك لم يشترط أن تكون الإمامة وراثية، وسمح أن يكون هناك إمامين في وقت واحد وهذا المبدأ بالتحديد أدى إلى كثرة النزاعات والخلافات على الإمامة بين أسر الأشراف، وأحياناً ضمن أسرة الإمام نفسها، ومهما يكن من أمر فقد استمرَّ وجود الأئمة في المناطق الشمالية من اليمن، وتمكنوا من أداء أدوار مهمة وحاسمة في تاريخ اليمن سواء في العصور الوسطى أو العصور الحديثة، أبو زهرة. محمد، 1959م: الإمام زيد حياته وعصره آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ص188-190.

[4] هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدّين بن شمس الدّين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى، ولد سنة1472م ودعا لنفسه بالإمامة في ظفير حجة سنة 1506م، وتوفي سنة 1558م، وقبره بحصن الظفير وله العديد من المؤلفات الفقهية والشعرية، وسيكون له دور كبير في تاريخ اليمن الحديث كما سنرى ذلك خلال البحث، زبارة. محمد بن محمد بن يحيى، دون عام: تاريخ الأئمة الزيدية في اليمن حتّى العصر الحديث، تقديم وعرض: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص118.

لمساندة الفقيه يحيى بن ابراهيم في مهمته بعد أن رأى شدّة إحكام الطوق العثماني على تعز، ويدل ذلك على الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها تعز لدى الزيديين كقاعدة أساسية لهم في اليمن الأسفل، فبقي شمس الدّين معسكراً في جبل التعكر، وتقدم يحيى بن إبراهيم بجيشه إلى القرب من تعز واستطاع أن يقترب من المعسكر العثماني ويهاجم كتيبة عثمانية كانت قد فارقت المعسكر طلباً للمؤونة من القرى والمناطق القريبة ودارت بين الطرفين معركة انتصر فيها الجيش الزيدي وقتل عشرة جنود من الكتيبة العثمانية التي انهزمت عائدة إلى معسكرها، وهنا قرر الجيش العثماني رفع الحصار عن تعز والانسحاب إلى زبيد خوفاً من الجيوش الزيدية الضخمة القريبة منهم، وحاول يحيى بن إبراهيم النصيري اللحاق بهم بعد انسحابهم إلّا أنَّه لم يتمكَّن من ذلك لكنَّهم تركوا مدافعهم والعديد من معداتهم في معسكرهم فاستولى عليها الزيديون[1].

أدَّت المحاولة العثمانية الفاشلة في الاستيلاء على تعز إلى تنامي قوة الزيديين وتضخمها وهذا ما نلمسه بشكل واضح من تقدم قوات عزالدّين بن الإمام يحيى شرف الدّين إلى جازان وشرقيها في مناطق أبي عريش واستيلائه على الجهات التهامية الشمالية كافة، ويمكن القول أنَّ عهد الوالي مصطفى عزت لم يشهد أي تطورات على الساحة اليمنية بل بقي وضع العثمانيين كما هو عليه دون أي تقدم يذكر[2]، وجاءت الأوامر السلطانية بعد ذلك بعزله وتولية مصطفى النشار على اليمن سنة (1540م)[3].

كان مصطفى النشار[4] أحد الضباط العثمانيين الذين استقروا في مصر بعد سيطرة السلطان سليم الأول عليها سنة (1517م)، وبقي فيها بعد عودة هذا السلطان إلى استنبول وترقّى في المناصب

1 القاسم. يحيى بن الحسين، 1968م: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص685-686.

2 شرف الدّين. عيسى بن لطف الله، 2003م: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح، تحقيق: ابراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ص 110-111.

3 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص93-94.

4 يرجع سبب تسميته بالنشار إلى أنَّه كان إذا وقع في يديه قاطع طريق قام بنشره، النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص94.

حتَّى أصبح كاشفا[1] كما تسلَّم إمارة قافلة الحج المصري لعدد من السنوات، كما أنَّه تقرب من والي مصر في تلك الفترة داود باشا[2] واستطاع الأخير أن يساعده بأن يصبح والياً على اليمن(1540م)، وتجدر الإشارة إلى أنَّ مصطفى النشار أول من لقب بلقب باشا من ولاة اليمن[3]، وتميز عهده بهدوء نسبي على صعيد الحروب مع الأئمة الزيديين إلّا أنَّ هذا لم يمنع من حدوث بعض الصدامات العثمانية الزيدية حيث توسعت القوات العثمانية باتجاه جازان واستعادت السيطرة عليها سنة (1543م)، وحاول عز الدّين بن الإمام الذي كان أميراً على صعدة آنذاك، وجازان تعد ضمن مناطق نفوذه أن يستعيدها وجرت بينه وبين الجيش العثماني عدَّة حروب إلَّا أنه لم يتمكَّن من استرجاعها[4].

توجه الجيش العثماني سنة (1544م) إلى منطقة لعسان غربي صنعاء فوجه الإمام يحيى شرف الدّين لمواجهتهم قوة كبيرة استطاعت الانتصار على الجيش العثماني وقتل العديد من الجنود العثمانيين[5]، إلَّا أنَّ كفَّة الإمامة الزيدية لن تبقى راجحة بعد ذلك ففي نهاية عهد مصطفى باشا النشار حدث تطور خطير داخل أسرة الإمام يحيى شرف الدّين أدَّى إلى تنازعها وضعف قوتها، والسبب في ذلك هو التنافس على منصب الإمامة بين المطهر[6] وأخيه شمس الدّين الذي حاول جاهداً أن يقنع والده بضرورة إبعاد المطهر عن الإمامة وتوليتها له[7] حتّى وصل الأمر إلى الصدام المباشر بينهما بعد محاولة الأخير إلقاء القبض على المطهر، إذ كان الإمام مقيماً في

1 مصطلح أطلق في العهد المملوكي للدلالة على النقيب أو الرئيس أو القائد، حلاق. حسان، صباغ. عباس، 1999م: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ص185.

2 هو والي مصر بين عامي(1538–1549م)، الصديقي: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، ص160.

3 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص94.

4 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص111.

5 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص689–690.

6 المطهر بن يحيى شرف الدين1503–1572م: هو الابن الأكبر للإمام الزيدي يحيى شرف الدين، ويُعدّ أحد أبرز القادة السياسيين والعسكريين في اليمن خلال القرن السادس عشر الميلادي، بعد وفاة والده، تولّى المطهر زمام القيادة في المناطق الشمالية والجهات التهامية، مكرسًا جهوده لمواجهة النفوذ العثماني في اليمن، القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص660.

7 الكبسي. محمد بن اسماعيل، 2005م: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق: خالد أبا زيد الأذرعي، ط1، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ص239.

الجراف شمال صنعاء، ولكنَّه أراد الانتقال منها عند حدوث الطاعون فيها سنة (1545م)، فطلب المطهر منه أن يتقدَّم للإقامة عنده في حصن فده[1]، وأخرج منه المطهر أولاده وأحفاده وأقام في قلعة طيبة إلى الشمال الغربي من صنعاء، وهنا أصرَّ شمس الدّين ابن الإمام يحيى على والده بإقامة تحصينات في محيط قرية القابل[2] وبعض الأماكن الأخرى، فشعر المطهر بحكم ما كان بينه وبين شمس الدّين من منافسة على الإمامة، وكان يعلم ميل والده لشمس الدّين أنَّ ما يفعلونه يقصد منه محاصرته في طيبة، وتمَّ الاتفاق بين الإمام يحيى شرف الدّين وابنه شمس الدين على أن يلقوا القبض على المطهر بعد صلاة الجمعة ويضعوه في السجن إلَّا أنَّ أحد إخوة المطهر استطاع تنبيهه وهم في المسجد فأرسل المطهر على الفور إلى جنوده في طيبة، واستطاع بذلك إنقاذ نفسه من هذا الموقف وهنا توترت العلاقات بين الطرفين إلى أقصى حد وحاول الإمام أن يسترضي المطهر بعد ذلك لكنَّ الأخير اشترط أن يطلق الإمام يحيى يده بما يشاء من الحصون الزيدية لكنَّ الإمام رفض ذلك، وكان العثمانيون يتوقون إلى هذا الخلاف وينتظرونه بفارغ الصبر علَّهم يستطيعون إحراز أي تقدم على الإمام يحيى بعد عجزهم الواضح أمام القوات الزيدية في معارك كثيرة، ودليل ذلك أنَّ الأمراء العثمانيين كانوا قد اتفقوا على إرسال حسن بهلوان[3] سنة(1540م) ليتقرب من الإمام يحيى، ويقوم بقتله أو قتل أحد أبنائه المطهر وشمس الدّين إلّا أنَّه عاد بعد فترة، ورغم نجاحه في التقرب من الإمام وأسرته لكنَّه لم يقتل أحد منهم، ذلك أنّه أيقن أن المنافسة والخلافات بين المطهر وأخيه شمس الدين قادمة لا محالة سيما أنّ قتل الإمام لن يفدهم بشيء، وإن هو قتل شمس الدين ففي ذلك حسب رأيه قوة للزيديين لأنَّ المطهر سيستبد بالأمر وإذا حاول قتل المطهر فإنَّه لن يستطيع ذلك وربما تُكشف الخطة العثمانية[4].

1 حصن في الطرف الجنوبي من وادي ضهر غربي صنعاء بمسافة 7كم، شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص113.

2 قرية تقع جنوب وادي ضهر الواقع شمال غربي صنعاء، الحجري. محمد بن أحمد، 1996م: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجلدان، تحقيق: اسماعيل بن علي الأكوع، ط2، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، صنعاء المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص641.

3 هو أحد الضباط المماليك الذين كانوا قد دخلوا في طاعة الدولة العثمانية بعد حملة سليمان باشا الخادم على اليمن 1538م، سالم. سيّد مصطفى، 1999م: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ص187.

4 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص111-117.

توجه المطهر بعد ذلك إلى حصن ثلا[1] بينما عاد الإمام يحيى إلى مكانه الأول في الجراف وبدأ المطهر بمهاجمة ممتلكات أبيه في البون شمال صنعاء فوجه الإمام يحيى ابنه شمس الدّين لقتاله بجميع القوات الزيدية، وفي هذا الوقت شعر المطهر بحكم خبرته العسكرية بخلو الجراف من المقاتلين وأنَّ الاستيلاء عليها من السهولة بمكان فأرسل مجموعة من جنوده إلى هناك وأمرهم إن هم استولوا على الجراف أن يحسنوا معاملة والده ولا يقوموا بإيذائه كما أنّه أرسل إلى جنده في قلعة طيبة يأمرهم أن يساندوا القوة التي أرسلها للاستيلاء على الجراف ولكنَّ المصادفة أنقذت الإمام يحيى، فقد وصل إليه أحد الأمراء الزيديين من حراز الواقعة إلى الغرب من صنعاء، ومعه خمسمئة جندي في اليوم نفسه الذي تقدمت فيه كتائب المطهر إلى الجراف يضاف إلى ذلك وصول بعض أهالي صنعاء إلى هناك للدفاع عن الإمام يحيى وهذا ما أدّى لانهزام جنود المطهر بعد مهاجمتهم للمدينة، في الوقت الذي كان فيه شمس الدين قد تقدم إلى نجر شمال غربي ثلا لقتال أخيه وأرسل ولده صلاح الدّين إلى حصن حضور الشيخ في مناطق ثلا فعسكر الأخير فيه، فسارع المطهر عقب ذلك بمراسلة المدن والقبائل اليمنية يدعوها إلى عصيان والده وولاته فامتنعت الكثير من القبائل عن أداء الواجبات المفروضة عليها تجاه الإمام يحيى شرف الدّين وشقت عصا الطاعة عليه، وتزامن هذا مع عزل مصطفى باشا النشار وإرسال الدولة العثمانية لوالي جديد إلى اليمن يدعى أويس باشا مع قوة عسكرية كبيرة ومعدات وآلات حربية ضخمة[2].

ثانياً: سقوط تعز وصنعاء وتحول ميزان القوة 1546-1547م:

ساعد قدوم أويس باشا إلى اليمن (1546م) في وقت كانت تعاني فيه الجبهة الزيدية من الصراعات الداخلية على تقدمه السريع في الداخل اليمني، لاسيما الدعوة التي تلقاها من المطهر بن الإمام يحيى شرف الدّين الذي أرسل له يحثه على محاربة والده واعداً إيَّاه بالدعم والمساندة، وبالتأكيد لن يفوّت أويس باشا هذه الفرصة لكنَّه لم يتقدم إلى صنعاء مباشرة لتحقيق أهداف المطهر، كما كان

[1] بلدة مشهورة في الشمال الغربي من صنعاء فيها حصن منيع وآثار قديمة، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الأول، الجزء الأول، ص166

[2] سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ص173-174.

يخطط بل توجه إلى تعز بدايةً، وكان هذا تصرفاً طبيعياً لابد منه لتأمين ظهر الجيش العثماني إن أراد الزحف شمالاً تجاه صنعاء ومناطقها، فخرج أويس باشا من زبيد سنة (1546م) بجيش ضخم، واصطحب معه المدافع الكبيرة، وضرب الحصار على تعز، ولابد من الإشارة إلى أن دعوة المطهر لم تكن السبب الوحيد الذي دفع أويس باشا ليتحرك تجاه المناطق الزيدية، وإنَّما شعر العثمانيون بضرورة استيلائهم على اليمن بأكمله حتّى يستطيعوا حماية سواحله ناهيك عن ضغط الإسماعيليين[1] على أويس باشا لمحاربة الإمام يحيى شرف الدين، وذلك بحكم العداء الذي كان بينهم وبينه بما أنَّ الأخير كان قد جردهم من ممتلكاتهم وأراضيهم القريبة من صنعاء في بداية تأسيسه لدولته، فألحَّ زعيمهم آنذاك وهو الداعي محمد بن اسماعيل على أويس باشا بمحاربة الإمام وأولاده ووعده أن يمدّه بخمسين ألف مقاتل[2].

كان والي تعز يحيى بن إبراهيم النصيري قد عمل على تحصينها عند علمه بضخامة الجيوش العثمانية المتوجهة للمدينة، وحاصر أويس باشا تعز عدّة أيام ولكن دون جدوى وقلت المؤنة في معسكره وأراد أن يرفع الحصار عن المدينة إلّا أنه تمكن من دخولها في (شباط/1546م) بمساعدة حامية مدينة تعز أنفسهم، والسبب في ذلك هو أنَّ الوالي الزيدي في حصن التعكر القريب من تعز كان قد أساء معاملة قبائل المنطقة، وظلمهم لدرجة أنَّهم ثاروا عليه وأرادوا قتله ففر منهم إلى بعدان جنوب غربي صنعاء وكان أغلب حامية تعز من أفراد هذه القبائل فانتصروا لذويهم بمحالفتهم لأويس باشا، وساعدوه على دخول المدينة التي هرب منها يحيى بن إبراهيم بمن بقي معه من جنود إلى جبل صبر جنوبي تعز[3]، وعند وصول هذه الأنباء إلى الإمام يحيى شرف الدّين أيقن أنَّه لا بد له من مصالحة المطهر بأي ثمن، لا سيما بعد أن سيطر العثمانيون على تعز، فلا بد

---

1 الإسماعيليون هم فرع من الشيعة ينسبون إمامتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وتتميز عقيدتهم بالتركيز على القيادة الروحية للإمام. وُجد الإسماعيليون في اليمن منذ القرون الوسطى، واستقرّ معظمهم في المناطق الجبلية والسهول الشمالية والغربية، خاصة في مناطق صعدة، ذمار، وحجة، حيث أسسوا مجتمعات صغيرة واعتمدوا على الزراعة والتجارة للحفاظ على وجودهم، الجادر. عادل سالم، 2000م: الإسماعيليون: الدعوة والدولة في اليمن، المجلد1، سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية، دار البحوث والدراسات، صنعاء، ص269.

2 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص95-97.

3 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ص693-694.

لهم من التوغل شمالاً تجاه ذمار وصنعاء، ولكنَّ المطهر اشترط مقابل الصلح أن تطلق يده في جميع الأراضي والحصون الامامية وأن يسلموه جميع الأسلحة والمعدات الحربية، فوافق الإمام على ذلك، وأعلن الجميع الولاء للمطهر في سنة (1546م)، ولم يبق بيد الإمام يحيى وابنه شمس الدّين غير كوكبان وحصن العروس غرب صنعاء، بالإضافة لبعض الحصون المتناثرة لأولاده الأخرين، كما ضربت النقود سنة (1546م) باسم المطهر، وتوجَّه الأخير للاستقرار في صنعاء سنة (1547م) فقام بإلقاء القبض على الوجهاء المقربين من والده وأودعهم في السجن وصادر أموالهم[1].

في الوقت الذي كان المطهر فيه ينتزع السلطة من والده ويثبت نفوذه في الإمامة، تمَّ تقدم الجيش العثماني بقيادة أويس باشا بعد سيطرته على تعز باتجاه ذمار في الشمال الشرقي من تعز، حيث يعد هذا الطريق على الرغم من طوله من أفضل الطرق لنقل الأسلحة والمعدات الثقيلة بسبب سهولة الطريق مقارنة مع وعورة المناطق الجبلية، فوصل الجيش العثماني إلى قعطبة جنوب صنعاء، ومن ثمَّ اتجه إلى وادي خبان الواقع غربي مدينة ذمار ليصل إليها، ولابد من الإشارة إلى أنّ الجيش العثماني سلك هذا الطريق ليدعم نفوذ العثمانيين في كافة المناطق الجنوبية مستغلاً دعم بعض القبائل الجنوبية له بعد دخولهم في طاعة الدولة العثمانية منتهزين الخلافات الأسرية الإمامية، ولكنَّ مسيرة الجيش العثماني ستتعرض لبعض المشاكل نتيجة إساءة أويس باشا معاملة الجنود، ولاسيما بعض الأمراء المماليك وكان هؤلاء من بقايا المماليك الذين دخلوا في طاعة العثمانيين بعد سقوط دولتهم على يد السلطان سليم الأول (1517م)[2]، إذ عُرفَ أويس باشا بالتهور والقسوة مما دفع هؤلاء إلى التآمر عليه بقيادة الأمير المملوكي حسن بهلوان وقتله في وادي خبان في أوائل الشهر السادس من عام (1547م)[3]، وحاول حسن بهلوان أن يستقل بأمر اليمن ويتزعم من به من المماليك ويستعيد سيطرتهم السالفة على اليمن إلّا أن جهوده باءت بالفشل

1 شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص117-122.

2 لقمان. حمزة علي ابراهيم، 2008م: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ص113.

3 الموزعي. شمس الدّين عبد الصمد بن اسماعيل، 1986م: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ص30.

لأنَّ الأمير أزدمر[1] استطاع أن يجمع الجيش العثماني حوله بعد مقتل أويس باشا ودعا الجنود للانضواء تحت طاعة السلطان العثماني، فهرب حسن بهلوان مع بعض جنوده عندما شعر أنَّ مؤامرته قد انكشفت، ولسوء العلاقة بينه وبين أزدمر لكنَّ قبائل بني غصين في الجنوب الغربي من صنعاء تمكنت من قتل حسن بهلوان مع جنوده، وأرسلت برأسه إلى المطهر في صنعاء، ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد ثار أصحاب حسن بهلوان في زبيد وبيت الفقيه انتقاماً لمقتله لكنَّ الأمير أزدمر سارع مباشرة بإرسال قوة من جنوده تمكنت من إعادة الأمور إلى نصابها وقتل زعماء المؤامرة[2].

رأى الأمير أزدمر أنّ تقدم الجيش العثماني من ذمار إلى صنعاء أفضل بكثير من العودة إلى زبيد أو البقاء في ذمار اللذين من الممكن أن يعرضا الجيش العثماني لهجمات كبيرة من القوات الزيدية، فتقدَّم بقواته إلى صنعاء وأرسل قبل تحركه رسالة إلى اسطنبول يعلم فيها السلطان العثماني سليمان القانوني بما جرى، ويطلب منه تعيين والي جديد على اليمن، وكان المطهر في هذا الوقت قد استعدَّ للقتال ورتب في صنعاء قوّة كبيرة بقيادة ابن أخيه صلاح الدّين بن شمس الدّين مع عدد من أمراء الأشراف، وشحن المطهر المدينة بعدد من المدافع، وتوجّه إلى طيبة شمال غرب صنعاء، وعندما اقترب العثمانيون من صنعاء في (17/آب/ 1547م) ناوشهم المطهر بجيشه قرب باب المنجل في الشمال الغربي من المدينة، وتمكَّنت قوَّاته من قتل ما يقارب عشرين جندي من العثمانيين، كما خرجت حامية صنعاء لمساندته وقتلوا عدد من الجنود العثمانيين وأخذوا خيامهم، بعد ذلك شدد الجيش العثماني الحصار على صنعاء، وبدأ يضربها بالمدافع، فحاول المطهر أن يخفف الضغط عن المدينة بإشغال الجيش العثماني بالتعاون مع أخيه شمس الدّين إلا أنَّ الأخير ولّى هارباً إلى حصن كوكبان شمال غربي صنعاء، وكان شمس الدّين قد اتصل سراً بالأمير أزدمر وحرّضه على مواصلة الحرب ضدَ أخيه المطهر الذي التحم مع الجيش العثماني مرة أخرى لكن

1 هو من الأمراء المماليك الذين دخلوا في خدمة العثمانيين عند دخولهم لمصر فتقلد العديد من المناصب ومن ثمَّ توجه مع حملة سليمان باشا الخادم إلى اليمن 1538م، وبقي بها بعد عودة الحملة وأصبح من الأمراء المشهورين في اليمن آنذاك، النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص98.

2 سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م ، ص187-188.

دون جدوى، فالتجأ إلى حصن ثلا، كذلك فقد تخلَّف أشراف الجوف عن نصرة المطهر في الدفاع عن صنعاء بعد ما وعدوه بالمساعدة بل وأرسلوا إلى الأمير أزدمر وتحالفوا معه، ولم يكن موقف علي بن الإمام يحيى أفضل من موقف أخيه شمس الدّين من المطهر حيث كان علي يكن العداء للمطهر الذي حرمه من الإمامة بعد أن كان الإمام يحيى على وشك أن يسلمها لعلي الذي وجد في هذا الموقف فرصة للانتقام من أخيه المطهر، فعمل منذ مقتل أويس باشا على الاتصال بالقبائل المحيطة بحصن ذي مرمر، وحرَّضها على خلع طاعة أخيه المطهر، وأرسل إلى الأمير أزدمر عندما كان في ذمار ووعده بدفع رواتب الجنود العثمانيين لمدة سنة إن هو تقدّم لأخذ صنعاء[1].

زادت هذه التطورات من ضعف المطهر مما ساعد العثمانيين على دخول صنعاء بعد حصار استمر سبعة أيام نتيجة خيانة قائد حامية باب شعوب شمال صنعاء الذي أدخل العثمانيين من الباب الموكل بحراسته، وجرت بعض المناوشات بين الجيشين الزيدي والعثماني داخل المدينة، ولكن سرعان ما انسحبت القوات الزيدية إلى القصر ومن ثَمَّ خرجت من المدينة عبر باب النصر شمال صنعاء، ولم يتبعهم الجنود العثمانيون لانشغالهم بأعمال السلب والنهب حيث استباحوا صنعاء في بداية دخولهم إليها إلّا أنَّ الأمير أزدمر استطاع إيقاف هذه الأعمال بعد ساعات من دخول الجيش العثماني إلى المدينة[2].

يبدو جلياً أنَّ التفتت الزيدي كان العامل الحاسم في سقوط صنعاء رغم العوامل الأخرى التي ترجع إلى التفوق العثماني في الأسلحة والمدافع والتجهيزات إلّا أن هذا لم يكن كافياً لسقوط صنعاء أو لانتصار العثمانيين على القوات الزيدية في جبال اليمن ومناطقه الشمالية الوعرة التي لا تتناسب قتالياً مع التشكيلات العسكرية العثمانية، ومهما يكن من أمر فقد سقطت صنعاء بيد العثمانيين، وحاول عزالدّين بن الإمام يحيى شرف الدّين، وأمير صعدة في نفس الوقت استعادتها، وكان الأخير أثناء حصار صنعاء يحاول توسيع دائرة نفوذه تجاه جازان، وكان والده قد راسله من قبل بالعودة إلى صعدة إلّا أنَّه تأخر في ذلك، وما إن وصل إلى هناك حتَّى كانت صنعاء قد سقطت

1 الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، ص242.

2 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ص700-701.

بيد العثمانيين، فأعدَّ جيشاً قوياً وانضمَّ إليه أشراف الجوف[1] الذين سارعوا إلى خيانته عندما وصل بجيشه إلى الظاهر جنوب صعدة، وانسحبوا من جيشه متحالفين مع العثمانيين، يضاف إلى ذلك العداء الشديد له من قبل أهالي الظاهر بسبب سوء معاملته لهم وأخذه الرهائن منهم لضمان إخلاصهم له[2].

تقدّم جيش عثماني بمساندة أشراف الجوف إلى الظاهر لمحاربة عز الدّين الذي تأكد من نوايا أهل الظاهر بخيانته فراسل والده يطلب المدد لكنه لم يستجب لذلك، وراسل المطهر الإمام يحيى شرف الدّين يطلب منه أن يأمر شمس الدّين بالتحرك من كوكبان ويتقدم هو من ثلا لنصرة أخيهم عز الدين فرفض الإمام يحيى شرف الدّين ذلك متذرَّعاً بضرورة بقاء شمس الدّين وجنوده لحمايته، ولم يتوجه المطهر لمساعدة عز الدين خشية استغلال شمس الدّين لغيابه واستيلائه على ثلا، ورغم ذلك استطاع عزالدّين التغلب على هذا الجيش في بداية الأمر وعسكر في جبل صبح غربي صنعاء استعداداً للمعركة التالية، فقام ناصر بن أحمد وهو أحد أشراف الجوف المتواطئين مع العثمانيين بمراسلة قبائل الظاهر وتحريضها على الثورة ضدّ عزالدّين مذكّراً إيَّاها بظلمه وبطشه، وما إن التحم عزالدّين مع جيش الأشراف والعثمانيين مرة أخرى حتَى قامت قبائل الظاهر بنهب معسكره بما فيه من أسلحة ومعدات وخيام، فاضطر للهرب إلى حصن ظفار في مناطق صعدة، فقام الأمير أزدمر بمحاصرته هناك حتّى اضطر لتسليم نفسه للعثمانيين (1547م)، فأرسله الأمير أزدمر إلى اسطنبول مباشرة لكنه توفي في الطريق إلى هناك[3]، وفي الوقت الذي كان فيه الأمير أزدمر يحرز الانتصارات المتتالية للدولة العثمانية في الشمال اليمني كان الوالي العثماني الجديد فرهاد باشا قد وصل إلى اليمن[4].

ثالثاً: تحولات الصراع وتراجع التفوق العثماني 1547-1554م:

1 ناحية معروفة في الشرق الشمالي من صنعاء، ينظر في الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، المجلد الأول، الجزء الأول، ص 195

2 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص128-130.

3 الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، ص243.

4 سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ص194.

وصل فرهاد باشا إلى اليمن خلال نهاية عام (1547م)، وبعد وصوله مباشرة استطاع الأمير أزدمر أن يمد النفوذ العثماني شمالاً إلى صعدة، بينما حاول فرهاد باشا أن يوطد النفوذ العثماني جنوباً، حيث كانت عدن قد خرجت من يد الدولة العثمانية بعد أن تمكنت بعض قبائل البدو بقيادة علي بن سليمان الطولقي من الاستيلاء على المدينة وأعلنت الثورة على الدولة العثمانية سنة (1547م)، فاستطاع فرهاد باشا استعادتها في (24/شباط/ 1548م) بفضل مساعدة قطع الأسطول العثماني التي أرسلها والي مصر آنذاك داود باشا(1538–1549م)، كما تمكّن فرهاد باشا من القضاء على ثورة الأشراف قبائل صبيا[1] التي نشبت في جازان بذلك الوقت بأن أرسل لها قوة عثمانية تمكنت من قتل زعيم الثورة الشريف عبد الوهاب ابن المهدي وأعادت جازان للنفوذ في (أيلول/1548م)[2].

لم يتوقف الأمير أزدمر عن حرب المطهر بن الإمام يحيى شمال صنعاء، لا سيما بعد ارتفاع معنويات الجيش العثماني نتيجة الانتصارات المتكررة التي أحرزها على القوات الزيدية وأسر عزالدّين بن الإمام يحيى شرف الدّين، حيث راسل الأمير أزدمر المطهر يطلب منه أن يسلم ما تحت يديه من معاقل وحصون أو يرضى بدفع ضريبة عنها للدولة العثمانية، فوافق المطهر على دفع المال لعلمه أنَّ الجبهة الزيدية في حالة ضعف وأنَّ الأمور غير مستقرة له نتيجة تربص الأشراف به من جهة وأخوته من جهة أخرى، ولكن العثمانيين أخطأوا في تقدير قوة المطهر داخل مناطقه الخاصة، وشعروا أنّه في حالة ضعف كبيرة فأصروا على محاربته، فزحف الأمير أزدمر سنة 1547م إلى ثلا شمال غربي صنعاء بجيش ضخم مصطحباً معه عدد كبير من المدافع، وعندما وصل الجيش العثماني إلى المائدة الواقعة جنوب مدينة الناصرة[3] بالقرب من حصن ثلا شرعوا بحصار الناصرة، ونصبوا المدافع حولها واستطاعوا تحطيم أسوارها نتيجة القصف الشديد للمدينة لكنَّ قوات المطهر ناوشت الجيش العثماني، وتمكَّنت من قتل حوالي مئتي جندي عثماني،

1 هي بلدة في المخلاف السليماني قريبة من جازان، الحموي. ياقوت، 1984م: البلدان اليمانية، تحقيق: اسماعيل بن علي الأكوع، مكتبة الجديد، صنعاء، ص173.

2 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص102–104.

3 هي بلدة وحصن إلى الشمال من مدينة ثلا وهي على جبل متصلٍ بمرتفعات ثلا، الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، ص244.

يضاف إلى ذلك استيلائهم على عدد من الخيول العثمانية[1]، واستمرت الحروب دائرة بين الطرفين مدّة أربعين يوماً لم يحرز فيها الجيش العثماني أي تقدم يذكر، وعندما شعرت القبائل المحيطة بتلك المنطقة أنَّ المطهر بعد صموده القوي هذا من الممكن أن ينتصر على العثمانيين، ويستعيد قوته السابقة وقفوا إلى جانبه وبدأوا بمهاجمة الجيش العثماني من جميع الأطراف، فتحول العثمانيون بهذا من محاصِرين إلى محاصَرين، وساء وضعهم العسكري إلى أقصى حد لدرجة أنَّ حليفهم شمس الدّين بن الإمام يحيى قدَّم لهم المؤن والغذاء طوال مدة حصارهم من حصن كوكبان، إلّا أنَّ هذا لم يقوِ جانب العثمانيين سيما أنَّ الأهالي في تلك المنطقة كانوا على دراية وخبرة كبيرة بالحرب في المناطق الجبلية الوعرة، ناهيك عن درجة التحصين الكبيرة التي تتمتع بها معاقلهم في تلك المنطقة، وهنا اضطر الأمير أزدمر أن يرسل للمطهر بطلب الصلح فوافق الأخير على ذلك، وانسحب الجيش العثماني بعدها عائداً إلى صنعاء، وتشير المصادر إلى أنَّ المطهر كان يستطيع بكل سهولة أن يهاجم الجيش العثماني أثناء عودته نتيجة حالته المزرية وأثقاله الكبيرة وهذا ما نصحه به بعض المقربين منه، إلّا أنَّه رفض ذلك حتّى لا ينقض عهده الذي بذله للعثمانيين[2].

لم يستسلم الأمير أزدمر للأمر الواقع لأنَّه كان واثقاً أنَّ الأمور في الشمال اليمني لن تستقر للدولة العثمانية إلَّا بالقضاء على المطهر، ولذلك نقض هدنته معه سنة 1548م بعد ضغط أشراف الجوف عليه لمحاربة المطهر، فهاجموه بالتعاون مع هؤلاء الأشراف بقيادة محمد بن الحسين في مناطقه قرب البون شمال صنعاء، ودارت بين الطرفين معركة حامية تمكّنت فيها قوات المطهر من الانتصار على هذا الجيش وقتل عدد كبير من أفراده، وكذلك الاستيلاء على المعسكر العثماني، وعاد المطهر بعد ذلك إلى ثلا بينما عاد الأمير أزدمر أدراجه إلى صنعاء، ومما ساعد على انتصار المطهر آنذاك التفاف الأهالي حوله بعد انتصاراته المتكررة، فضلاً عن وعورة المنطقة وصعوبة تضاريسها[3]، إلّا أنَّ هذه النتيجة لم تعجب شمس الدين بن الإمام يحيى، ولذلك تقدَّم

1 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص132.
2 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص703-704.
3 سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ص199.

إلى صنعاء وطلب من الأمير أزدمر أن يمدَّه بقوة من الجنود العثمانيين لحماية حصن شبام[1] الواقع تحت سيطرته، كما أنَّه أشار على الأمير أزدمر بضرورة تحصين مدينة عمران شمال صنعاء، وشحنها بالجنود وذلك لأهمية موقعها على حدود مناطق سيطرة المطهر، ويشير هذا التنسيق الكبير بين شمس الدّين والأمير أزدمر إلى رغبة الطرفين بمحاصرة المطهر في ثلا حتّى يسهل الانتصار عليه، إلّا أنَّ الأخير كان على درجة كبيرة من الخبرة العسكرية، لاسيما في مناطق سيطرته والتي كانت في غاية المنعة والحصانة مما حال دون نجاح خطط الحليفين[2].

تمَّ تعيين أزدمر باشا والياً على اليمن في (1549م)، واستمرَّ في شن حملاته على المطهر وربما أراد من ذلك أن يثبت للباب العالي في اسطنبول أنَّه على مستوى عال من المسؤولية للمهمة التي وكل بها[3]، يضاف إلى ذلك التحريض المستمر من شمس الدّين بن الإمام يحيى على محاربة المطهر، ففي سنة (1549م) أشار شمس الدين على أزدمر باشا بحصار حصن بيت عز في الشمال الغربي من كوكبان، وكان هذا الحصن ضمن مناطق سيطرة المطهر، فحاصره العثمانيون حصاراً شديداً، ونصبوا حوله المدافع ورغم الجلد الكبير الذي أبداه الجنود الزيديون في الدفاع عن الحصن إلَّا أنَّهم اضطروا في نهاية الأمر إلى تسليمه عندما عجزوا عن المقاومة بعد ضغط الضربات العثمانية وشدّة الحصار، لكنَّ أزدمر باشا أمر بقتلهم جميعاً وكانوا ما يقارب ثمانين جندي، ومن ثمَّ عاد بعدها إلى صنعاء[4].

لم يلبث أزدمر باشا أن عاد إلى مناطق كوكبان شمال غربي صنعاء بناء على دعوة شمس الدّين بن الإمام يحيى شرف الدين في مهاجمة حصن شمات[5]، وكان هذا الحصن مقسَّماً بين شمس الدّين وبين المطهر، فسارع أهالي شمات بعد ذلك لمراسلة المطهر طالبين منه المدد للوقوف في

1 حصن قريب من كوكبان في الغرب الشمالي من صنعاء، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص441.

2 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص704.

3 البطريق. عبد الحميد، 1969م: من تاريخ اليمن الحديث1517-1840م، مركز الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ص25-29.

4 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص136–137.

5 هو أحد حصون مدينة الطويلة الوقعة في الغرب الشمالي من صنعاء، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص456.

وجه القوات العثمانية، فأرسل لهم قوة من جنوده بقيادة أحد قادته، وهو علي بن داعر المصلي ولكنَّ المطهر عندما علم بضخامة الجيش العثماني والمدافع الكثيرة المتوجه بها إلى شمات قاد جيشه بنفسه لمساندة أهالي هذا الحصن، والتقى الطرفان قرب الحصن واشتدَّ القتال لدرجة كبيرة جداً[1]، حتّى أنَّ المؤرخ الزيدي عيسى بن لطف الله بن المطهر يصف هذه المعركة بقوله *"ما وقع مثلها قط"* حيث أسفرت عن مقتل مئة جندي من الجيش العثماني في حين كانت خسائر الزيديين أقل من هذا العدد نظراً لمعرفتهم التامة بأراضيهم وخبرتهم في أساليب الحرب بتلك الجبال ودروبها الوعرة، وعاد المطهر عقب هذه المعركة الكبيرة إلى ثلا مباشرة فشدد العثمانيون حصارهم لحصن شمات مما أجبر أهلها على طلب الأمان من أزدمر باشا مقابل تسليم الحصن، فوافق على ذلك لكنَّه لم يلتزم بوعوده تجاههم حيث شرع العثمانيون حال دخولهم الحصن بنهبه، واعتقلوا من وجدوه فيه من الجنود الزيديين، وقام أزدمر باشا بقتل بعض زعماء المنطقة عقاباً لهم على مقاومة الجيش العثماني إلّا أنَّ سياسة البطش هذه لم تعط العثمانيين في اليمن سوى نتائج سلبية زادت نفور الأهالي من حكمهم، إذ توجّه المطهر إلى شمات مرة أخرى ولكن بوضع أفضل وقوة أكبر تستند على دعم شعبي من قبل الأهالي، فأيقن أزدمر باشا عندها أنَّ انتصار الجيش الزيدي سيكون محققاً دون شك، فقرر الانسحاب السريع بقواته من حصن شمات والعودة إلى صنعاء، حتَّى أنَّ بعض الجنود العثمانيين كانوا قد توفوا أثناء جرهم للمدفع الكبير في طريق العودة إلى صنعاء بسبب شدة وعورته، وتشير هذه الحادثة إلى سبب جوهري من أسباب إخفاق العثمانيين في بث سيطرتهم على كامل الأراضي اليمنية، ألا وهو طبيعة الجيش العثماني المعتاد على استخدام الآلات الحربية الثقيلة، والحرب في ميادين سهلية مفتوحة بينما كانت الحرب في تلك الجبال تعتمد على أسلوب الكر والفر واستخدام الآلات الخفيفة وهذا ما يجيدوه الزيديون إلى حدٍ كبير[2].

صدرت أوامر السلطان سليمان القانوني إلى والي مصر داوود باشا(1538-1549م) بتجهيز قوة عثمانية تتألف من ثلاثة آلاف جندي من المشاة وألف من الفرسان وإرسالها إلى اليمن لدعم أزدمر باشا، واختار داوود باشا لقيادة هذه القوة مصطفى النشار الذي سبق أن كان والياً على

1 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص705.

2 شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح، ص137-138.

اليمن(1540–1545م) فوصل إليها مع جنوده سنة (1551م)[1]، في الوقت الذي كان فيه أزدمر باشا قد وصل إلى المنقب الواقعة شرق كوكبان وجنوب ثلا، واتخذ من هذه المنطقة قاعدة عسكرية أمامية لمهاجمة الزيديين، ورغم أنَّ أزدمر باشا كان يعتقد أنَّ وصول المساعدات العثمانية إلى اليمن سيمكِّنه من إحراز تقدم كبير على المطهر ويجعله يخضع اليمن بكاملها للدولة العثمانية إلّا أن الأحداث أثبتت غير ذلك، ويعود هذا إلى تفكير مصطفى النشار المختلف تماماً عن تفكير أزدمر باشا حيث كان مصطفى النشار يحاول أن ينهي مهمته دون أن يخوض جيشه أيَّة حروب من خلال عقد الصلح مع المطهر، وحاول مصطفى النشار تنفيذ خطته الخاصة منذ وصوله إلى اليمن بمعزل عن أزدمر باشا، حيث كان داوود باشا قد زوده بكتاب إلى المطهر على لسان السلطان العثماني سليمان القانوني يطلب من المطهر فيه الدخول في طاعة الدولة العثمانية[2].

أعلن النشار أنَّ السلطان سليمان القانوني قد أمر بإيقاف العمليات الحربية في الشمال اليمني، وأنَّ جميع القوات العثمانية في اليمن ستتوجه إلى الحبشة لمحاربة البرتغاليين الذين استولوا عليها سنة (1551م)، ورغم أنَّ بعض المصادر الزيدية تشير إلى أنَّ هذا العمل لم يعدُ أن يكون مجرد خدعة استعملتها الدولة العثمانية لاستدراج المطهر، إلّا أنَّ أفعال مصطفى النشار أثبتت أنَّه كان يرغب بالصلح معه حتّى اللحظات الأخيرة التي سبقت الحرب التي شنها على المطهر بالتعاون مع أزدمر باشا[3].

أزعجت تصرفات مصطفى النشار أزدمر باشا الذي كان مقتنعاً بعدم جدوى المفاوضات مع المطهر، مما جعله يمنع رسول مصطفى النشار من الدخول إلى منطقة المطهر عندما وصل إلى المنقب مركز الجيش العثماني وهذا ما زاد من ريبة وشك المطهر تجاه هذا الصلح[4].

توجَّه مصطفى النشار بعد ذلك إلى صنعاء لمقابلة أزدمر باشا وراسل المطهر أكثر من مرة يخبره بأن يرسل أحد أولاده لملاقاته في ذمار وذلك ليتأكد من صدق نية المطهر بالصلح ولكنَّ الأخير رفض ذلك، سيما أنَّه كان يشك بنوايا العثمانيين تجاهه واستغلَّ أزدمر باشا هذا الأمر كذريعة

1 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص 106–107.

2 سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538–1635م، ص200–202.

3 شرف الدّين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح، ص142–144.

4 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص708–709.

لإقناع مصطفى النشار بعدم إخلاص المطهر، وضرورة محاربته حتَّى القضاء عليه وذلك عندما قابله في ذمار[1]، وهذا ما جعل مصطفى النشار يستجيب لإلحاح أزدمر باشا بحرب المطهر ويتوجّه معه بجيشه إلى المنقب، كما أرسلا إلى شمس الدّين بن الإمام يحيى لمساندتهم في هذه الحرب فتوجَّه إليهم مباشرةً، وتقدّم مصطفى النشار بعد ذلك بقواته إلى داخل أراضي المطهر سنة (1552م)، ووصل حتّى رأس المعنيين ومن ثمَّ تبعه أزدمر باشا بجنوده وعسكروا في تلك المنطقة حوالي أربعة أيام، فأرسل المطهر لمواجهتهم جيش ضخم من جنوده بقيادة ابن أخيه صلاح الدّين بن شمس الدّين، والتقى الطرفان بالقرب من ثلا وعلى الرغم من الفارق الكبير بين الجيشين في العدد والعتاد إلّا أنَّ الجيش الزيدي استطاع الصمود خلال المعركة، ولجأ الجنود الزيديون إلى حفر خنادق ليحتموا بها من ضربات المدافع العثمانية، وقتل خلال تلك المعركة عدد من القادة البارزين في قوات المطهر[2]، فتمكَّن العثمانيون من اقتحام ثلا بينما التجأ المطهر إلى قلعتها وأفرغها من العامة مستعداً لحصار طويل الأمد، فأراد ألّا يؤثر وجود الناس في القلعة على حركة جيشه في المعارك القادمة والتي أيقن المطهر بأنّها لن تنتهي في وقت قصير، وعين ابن أخيه صلاح الدّين بن شمس الدين لقيادة قواته في الناصرة، بينما كان العثمانيون قد أحاطوا بحصن ثلا من جميع الجوانب وبذلوا جهوداً جبَّارة لاقتحامه، إلَّا أنَّهم لم يفلحوا في ذلك رغم استخدامهم جميع الأساليب الحربية بما في ذلك أنّهم حاولوا في إحدى المرات أن يتسللوا إلى الناصرة عن طريق نفق كانوا قد حفروه من خارج الحصن إلى داخله، وكانوا يعملون بحفره ليلاً حتّى لا يلتفت لهم جنود المطهر ولكنّ أحد حرس المدينة اكتشف الأمر فأمر المطهر بأن ينصب لهم كميناً داخل هذا النفق وعندما أراد الجنود العثمانيون إكمال عملهم في الليل وقعوا في الكمين واستولى الجنود الزيديون على جميع ما وجدوه في النفق من العتاد والأسلحة، واستمرَّ الحصار سبعة أشهر لم يحرز بها العثمانيون أي نتيجة تذكر[3].

1 الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ص248

2 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص709-710.

3 شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح ، ص144-146.

رغم أنّ بعض المصادر ترجع فشل العثمانيين في القضاء على المطهر إلى اختلاف أزدمر باشا مع مصطفى النشار، إلّا أنَّ هذا السبب يبدو غير مقنع، لأنَّ مصطفى النشار كان قد انصاع لرغبة أزدمر باشا في حرب المطهر بنهاية الأمر، وهذا ما يبرر انخراط من جاء معه من جنود في حصار ثلا، وإن لم يكن القائدين على توافق تام فقد لبثت القوات العثمانية سبعة أشهر تحاصر ثلا بكامل أسلحتها وعتادها بما فيها المدافع القوية وهذه مدّة كافية لانتصار هذه القوات إن لم يكن هناك أسباب أخرى تبدو أكثر إقناعاً تتعلق بشراسة الزيديين ومناعة حصونهم، ووعورة المنطقة وقلة خبرة العثمانيين في القتال ضمن تلك المناطق، فضلاً عن شخصية المطهر الدمثة والتحالفات التي قام بها مع الأشراف، فاستطاع الزيديون بذلك أن يغيروا ميزان القوى لصالحهم، مما اضطر العثمانيون إلى إيقاف الحصار وطلب الصلح من المطهر، واقتضى هذا الصلح على أن يسلم المطهر للعثمانيين الطويلة[1] وحصونها في حين تبقى له السيطرة على حصونه التي تحت سلطته إضافةً إلى قبوله أن تكون الخطبة والسكة في مناطقه باسم السلطان العثماني[2].

ورغم كل هذه الجهود المضنية التي أبداها المطهر لم يغير الإمام يحيى شرف الدّين موقفه تجاهه ولم يعهد له بالإمامة، حيث انتقل الإمام سنة 1552م من كوكبان إلى حصن الظفير في حجة، وكان آنذاك قد بلغ الثمانين من عمره، وفقد بصره وشعر بدنو أجله فأوصى بالإمامة من بعده لابنه علي لكنَّ الأمور لم تستقر له نتيجة دخول الكثير من أهالي وقبائل المناطق الشمالية من اليمن في طاعة المطهر خشية بطشه، فقام الإمام يحيى شرف الدّين بعد ذلك بمراسلة الأشراف آل المؤيد في صعدة يطلب منهم ترشيح من يرونه مناسباً للإمامة، فاتفقوا على تعيين السيّد أحمد بن عزالدين، واستطاع هذا الإمام في بداية الأمر أن يثبّت نفوذه في صعدة والمناطق القريبة منها مثل الاهنوم والسودة شمال غرب صنعاء[3]، لكن سرعان ما هاجمه أشراف الجوف بقيادة الأمير ناصر بن أحمد الحمزي، ودارت بينهم عدّة حروب أسفرت عن سيطرة الأمير ناصر بن أحمد الحمزي على صعدة، والتجاء الإمام أحمد بن الحسين إلى أزدمر باشا الذي رحب به مستغلاً هذا الأمر لصالح دعم النفوذ العثماني في صعدة ومناطقها، فأرسل معه قوة عثمانية بقيادة الأمير

[1] مدينة تقع في الغرب الشمالي من صنعاء تبعد عنها مرحلتين ولها أعمال، وهي غرب كوكبان، ترتفع عن سطح البحر ألفي متر تقريباً، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص559.

[2] الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ص248.

[3] القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص712-714.

العثماني اسكندر إلى صعدة، والتقوا مع جيش أشراف الجوف قريباً من المدينة وتمكنوا الانتصار على هذا الجيش، في الوقت الذي تقدّم فيه أزدمر باشا بنفسه لمساعدتهم، فدخلوا صعدة سنة (1552م)، وقام أزدمر باشا بتعيين الإمام أحمد بن الحسين ولاية المنطقة الجبلية شمال صعدة، ولكنَّ هذا الإمام خلع طاعة العثمانيين وسيطر على صعدة، فقام أزدمر باشا بإرسال قوة عثمانية لاستعادة المدينة من قبضته، بعد أن أدرك هذا الإمام عدم قدرته على مواجهة الجيش العثماني التجأ إلى المطهر الذي رحب به وعيَّنه حاكماً لحصن الجاهلي قرب حجة[1].

ظهر في تلك الفترة الإمام الحسن بن حمزة بن علي من الأشراف آل حمزة[2]، وبدأ يدعو لنفسه في مناطق شظب والاهنوم شمال غربي صنعاء، ولكنَّه لم يحقق أي نجاح يذكر نتيجة قبضة المطهر الشديدة على تلك المناطق، حتَّى اضطر فيما بعد إلى طلب الصلح والأمان من المطهر الذي وافق على ذلك، ورغم أنَّ المطهر عرف بشدة بطشه وعقوباته القاسية غير المتسامحة مع خصومه السياسيين الذين يظفر بهم نراه هنا يعفو عن هذا الإمام، ويأمر بعمارة بيته في شظب ويخصص له راتباً شهرياً، وما يهمُنا هنا هو تفسير هذه التصرفات من جانب المطهر والذي كان يقدِّر الأمور بشكل صحيح، ويعمل على استعادة قوته التي أنهكت نتيجة حروبه المتكررة مع أزدمر باشا، فقد أثبتت تقوية العلاقات مع الأشراف جدارتها سابقاً، عندما كان المطهر محاصراً في ثلا حيث تمكَّن أشراف الجوف من مساندته أكثر من مرة، ويمكن القول أنَّ دعمهم له كان إحدى العوامل الحاسمة التي أسهمت في انسحاب الجيش العثماني من حصار ثلا [3].

كان أزدمر باشا من أبرز الولاة العثمانيين الذين استطاعوا أن يحدَّوا من قوة الإمامة الزيدية ويقلصوا نفوذها إلى حدٍ كبير، ولكنَّ هذا الأمر بقي مؤقتاً ومرتبطاً بشخص أزدمر باشا ووجوده في اليمن، لأنَّ الإمامة الزيدية لم تزل موجودة بجانبها الديني المتمثل بالإمام يحيى شرف الدّين، والسياسي والعسكري المتمثل بابنه المطهر الذي لن يقنع بالبقاء حبيس حصونه شمال صنعاء، وخاصة في

1 سالم: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، 209.

2 عائلة من الأشراف تنسب إلى حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين الرسي، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص281.

3 القاسم: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص714-715.

الفترة اللاحقة التي سيصل فيها إلى اليمن ولاة ليسوا على المستوى المؤهل أو المطلوب لمواجهة أوضاع اليمن سياسياً وعسكرياً، وجاءت الأوامر السلطانية بعد ذلك بعزل أزدمر باشا عن ولاية اليمن سنة (1554م) وتعيين مصطفى النشار مكانه، وسيكون هذا الأمر بداية لتغيرات كبيرة ستطرأ على الساحة اليمنية[1].

-الاستنتاجات والتوصيات:

1- شهدت اليمن بين 1538-1554م صراعات كبيرة بين العثمانيين والأئمة الزيديين، نتيجة النزاعات الداخلية للزيديين وحملات التوسع العثمانية.

2- نجح الزيديون في الحفاظ على نفوذهم في المناطق الشمالية والجهات التهامية، رغم القوة العسكرية العثمانية وامتلاكها للمدافع والأسلحة الثقيلة.

3- ساهمت الخلافات الداخلية بين أبناء الإمام يحيى في إتاحة فرص محدودة للعثمانيين للتدخل، كما استغلوا بعض هذه الانقسامات لتوسيع نفوذهم مؤقتاً.

4- شكلت التضاريس الوعرة والحصون الزيدية عائقاً كبيراً أمام السيطرة العثمانية الكاملة، مما أدى إلى تراجع التفوق العسكري العثماني رغم الحملات المكثفة.

5- لعبت التحالفات والولاءات المحلية دوراً محورياً في الحفاظ على توازن القوى، وأظهرت محدودية قدرة العثمانيين على فرض سيطرتهم الكاملة على اليمن خلال هذه الفترة.

-قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1 النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص117-118.

1- شرف الدّين. عيسى بن لطف الله، 2003م: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتح والفتوح، تحقيق: ابراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.

2- الصديقي. محمد بن أبي السرور البكري، 1995م: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: ليلى الصَّبّاغ، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

3- القاسم. يحيى بن الحسين، 1968م: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

4- قطب الدّين محمد بن أحمد، 1967م: البرق اليماني في الفتح العثماني، ط1، منشورات دار اليمامة، الرياض.

5- الكبسي. محمد بن اسماعيل، 2005م: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، تحقيق: خالد أبا زيد الأذرعي، ط1، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

6- الموزعي. شمس الدّين عبد الصمد بن اسماعيل، 1986م: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

المراجع:

1- أبو زهرة. محمد، 1959م: الإمام زيد حياته وعصره آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة.

2- البطريق. عبد الحميد، 1969م: من تاريخ اليمن الحديث1517-1840م، مركز الدراسات والبحوث العربية، القاهرة.

3- الجادر. عادل سالم، 2000م: الإسماعيليون: الدعوة والدولة في اليمن، المجلد1، سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية، دار البحوث والدراسات، صنعاء.

4- زبارة. محمد بن محمد بن يحيى، دون عام: تاريخ الأئمة الزيدية في اليمن حتّى العصر الحديث، تقديم وعرض: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

5- سالم. سيّد مصطفى، 1999م: الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة.

6- لقمان. حمزة علي ابراهيم، 2008م: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن.

المعاجم:

1- الحجري. محمد بن أحمد، 1996م: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجلدان، تحقيق: اسماعيل بن علي الأكوع، ط2، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، صنعاء.

2- حلاق. حسان، صباغ. عباس، 1999م: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.

3- الحموي. ياقوت، 1984م: البلدان اليمانية، تحقيق: اسماعيل بن علي الأكوع، مكتبة الجديد، صنعاء.

التميز في عهد الملك رمسيس الثالث (1151 – 1182) ق.م ما بين الحرب والدفاع عن مصر والإستقرار فيها والتمرد والمؤامرة في الداخل

مها ادورد الأحمر[1]، أ. د. جهاد سمعان عبود [2]

[1]طالبة دكتوراه، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
maha.alahmar@damascusuniversity.edu.sy
[2]عضو هيئة تدريسية في جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تاريخ قديم.
Jehad.aboud@damascusumivercity.edu.sy

الملخص:

يتناول هذا البحث لمحة شاملة عن التميز في عهد الملك المصري رمسيس الثالث حسب 1151 – 1182 ق.م) ما بين الحرب والدفاع عن مصر والإستقرار فيها والتمرد (المصادر والمؤامرة في الداخل، حيث كان من الملوك العظام الذين حكموا لفترة طويلة والذي كان عهده بداية لحكم أسرة جديدة لعبت دوراً مهماً في تاريخ مصر. فكان عهده غني بكل المقاييس حيث كانت البداية بالدفاع عن حدود مملكته ضد الهجمات من جميع الجهات وبشكل خاص شعوب البحر الذين كانوا على درجة كبيرة من القوة بالإضافة إلى قناعتهم بأن أرض النيل هي المكان المناسب للعيش فيه والدليل على هذه القناعة إحضارهم لنسائهم وأطفالهم معهم وكذلك استطاع التغلب على هجوم القبائل الليبية ومن ثم التوسعات وامتداد رقعة دولته، حتى كان هناك تحولات جذرية في مجال الفن وهو أن الملك بعد ان كان يتم تصويره بأحجام غير حقيقية أصبح على حجمه الحقيقي والطبيعي، كما كان الملك هو خليفة الإله على الأرض وأحكامه وقراراته هي أوامر من وحي الإله وعلى الشعب تنفيذها بدون أي تفكير لأن الملك هو العارف بمصالح شعبه، ولكن على الرغم من ذلك حصل في عهده إضراب للعمال هو الأول من نوعه والأول في الدولة المصرية على مدى تاريخها الطويل كما كان هناك في أواخر عهده مؤامرة كبيرة اشترك

فيها عدد كبير من الموظفين الكبار في البلاط الملكي والجيش والكهنة وكانت تتولى الزعامة في تلك المؤامرة إحدى زوجات الملك الثانويات والتي كانت تطمح أن يعتلي العرش ابنها بدلاً من الوريث الشرعي رمسيس الرابع.

الكلمات المفتاحية: حكم الملك رمسيس الثالث، الأخطار الخارجية، إضراب دير المدينة، مؤامرة الحريم.

The Country Inner Conditions of Ramsis The Third (1182 -1151 B.C.)

Maha Edward al-Ahmar[1], Dr. Jehad Samaan Aboud[2]

[1]PhD student, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Ancient History.
[2]Faculty member at the University of Damascus, Faculty of Arts and Humanities, Ancient History.

ABSTRACT

This research talks about a general overview about the country's inner conditions in the period of the Egyptian king, Ramsis The Third according to the references (1182-1151 B.C.) when he was one of the most important kings, who ruled for a very long period, and whose period was the beginning of the rule of a new dynasty that played a very important role in the history of Egypt. His period of ruling was rich for all measures as it was the start of the defense of his kingdom from all invasions coming from all sides, especially from the people who lived overseas. Those people were very powerful, in addition to their conviction as the land of the Nile was the convenient place to live in. The proof, to that conviction, was their association of their wives and children with them. He also could control the invasion of the Libyan tribes and the expansion, and extension of the area of his kingdom. Even there was fundamental changes in the realm of art. He was shown much bigger than the natural human size. Then he became like normal persons. As the king has been the representative of God on earth, and his rules and decisions had been orders given by the inspiration of God to govern the people, his subjects had to fulfil them without thinking. That's because the king had been the knowing side of the advantages of his people. During his period, there was a laborer

strike which was the first of its kind, and the first in the Egyptian state, in its very long history. At the end of his ruling, there also was a big conspiracy inside his palace which a large number of high employees participated in. This conspiracy took place with the participation of the employees of the kingdom's palace, the army and the priests. The leading hand was one of the secondary wives of the king. She was aspiring for giving the throne to her son instead of the legal inheritor.

المقدمة:

تعد دراسة هذا البحث على درجة كبيرة من الأهمية بسبب التغيرات الكبيرة التي حدثت في مصر مع بداية حكم الأسرة العشرون والتي كانت البداية بوريث غير شرعي بالإضافة إلى التحديات الخارجية الكبيرة التي تعرضت لها دولة عظمى كمصر والأحداث والتغييرات الداخلية التي كانت خارجة عن المألوف والمتعارف عليه على مر السنين الطويلة من تاريخ مصر العريق.

فبالنسبة للخطر الخارجي فقد تعرضت مصر لأعنف غزو هو غزو شعوب البحر الذين سحقوا كل ما كان يقف في طريقهم وكانوا على درجة من القوة تزرع الخوف في نفوس الناس حتى قبل وصولهم بالإضافة إلى القبائل الليبية التي كان لها أكثر من هجوم على مصر وهذه المخاطر أخذت حوالي خمسة عشرة عاماً من حكم الملك رمسيس الثالث حتى استطاع درء جميع الأخطار الخارجية وأعاد الأمن والاستقرار إلى مصر.

عندها استطاع الملك الالتفات إلى الأمور الداخلية المؤجلة والتي كان يتوجب عليه القيام بها فور تسلمه الحكم حسب البروتوكول المعتمد لكل ملك يتسلم الحكم ومنها تفقد المعابد وبناء الجديد منها، لكن مع كل ذلك كانت السنين الأخيرة من حكمه قبيل الاحتفالات باليوبيل الفضي مليئة بأحداث لم تشهدها مصر من قبل وهي إضراب عمال دير المدينة الذين ثاروا بسبب الفقر

وقلة الطعام وعدم حصولهم على أجورهم المستحقة مما دفعهم إلى العصيان والمطالبة بحقوقهم وخروجهم أكثر من مرة. كما كانت هناك مؤامرة كبيرة كادت تودي بحياة الملك قامت بها إحدى زوجات الملك الثانويات التي استطاعت إمالة عدد كبير من النساء ورجال الدولة والبلاط والجيش والكهنة وهذه المؤامرة سميت بمؤامرة الحريم، لكن تمكن الملك من كشفها وإحالة كل من شارك فيها إلى القضاء لتتم محاسبتهم على ما فعلوه.

تتجلى إشكالية هذا البحث في التغييرات التي طرأت على آلية الفكر لدى الشعب المصري من إيمانه المطلق بالملك وبأنه الشخص الموفد من قبل الإله إلى درجة التمرد والتآمر على إنهاء حياته. ومن هذه الإشكالية تأتي أهمية هذا البحث الذي يقدم فكرة واضحة عما حدث في فترة حكم هذا الملك على مدى السنين الطويلة والذي عد من الحكام العظام الذين حكموا مصر على مدى تاريخها العريق والذي استطاع حماية حدود دولته ضد أخطار تعتبر الأشد ولمدة ليست بقصيرة على الإطلاق وأرسى دعائم الأمن والاستقرار في الداخل وكيف تحولت كل هذه الإنجازات في نهاية حكمه إلى ضعف وانهيار لقيم الدولة.

ويكمن الهدف من هذا البحث تسليط الضوء على فترة كانت مليئة بالأحداث الكبيرة التي حدثت في عهد هذا الملك العظيم الذي بنهاية حكمه انتهت فترة مجيدة من تاريخ مصر.

تم استخدام المنهج التاريخي والوصفي في منهج البحث.

أولاً: وضع مصر في أواخر حكم الأسرة التاسعة عشرة (1184–1308 ق.م)

كانت مصر أثناء حكم الأسرة التاسعة عشرة التي أسسها الملك " رمسيس الأول" (1308–1307 ق.م) على درجة من القوة جعلها تحتل مكانة كبيرة بين دول المنطقة، فاستطاع ابنه سيتي الأول " (1307–1291 ق.م) بقوته وجبروته من الصمود وورثه على العرش الملك " سيتي الأول " (وحماية عرشه في الحروب الطويلة في آسيا الغربية التي أخذت معظم سنين حكمه، ثم جاء من

ق.م) الذي ذاع صيته من خلال حربه الطويلة 1224–1290بعده الملك " رمسيس الثاني " (مع الدولة الحثية التي إنتهت بمعاهدة سلام بين الحثيين والمصريين.(باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ج2، بغداد، 2011، ص 80 –81).

لكن نهاية الأسرة التاسعة عشرة كانت محزنة فقد دبت في أوصالها الاضطرابات والضعف وهنا يجب الإشارة إلى الملك "مرنبتاح " (1224 – 1214 ق.م) آخر الملوك الأقوياء الذي حافظ على الأمن والاستقرار، وبعد وفاته كان هناك فترة حدث فيها الكثير من المؤامرات حول تولي العرش وتوالى عدد من الملوك على الحكم اللذين حكموا لفترات قليلة (سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية، العراق، إيران، آسيا الصغرى)، بيروت، 2008، ص 85 –86). مما جعل الدولة المصرية تعاني من الضعف فوصلت في هذه الفترة الملكة " تاوسرت " زوجة الملك " سيتي الثاني " إلى الحكم بحكم الوصاية على الملك الصغير ثم وبعد وفاته استفردت بالحكم لنفسها وخلعت على نفسها ألقاب الملوك وبسطت سيطرتها ونفوذها على شؤون البلد كلها، لكن حكمها لم يدم سوى سبع سنوات بسبب الاضطرابات التي أدت إلى نهاية حكم الأسرة التاسعة عشرة وانتقال الحكم إلى أسرة جديدة هي الأسرة العشرين. (صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، 1980، ص 236 – 237،. سليم، 2008، ص 85 –86. Ahmed, Mahmoud Abed al-Hameed, Studies in the Pharaonic Egyptian History, Damascus University, Press 8, 2007-2008, 205-217

ق.م):1087–1184ثانياً: بداية حكم الأسرة العشرين (

–1184اعتلى عرش الدولة المصرية قائداً عسكرياً محنكاً يدعى " ست نخت " (وسر خعو رع) (ق.م)(صالح، 1980، ص 238) الذي استطاع خلال فترة حكمه القصيرة والتي لم تتجاوز 1182 السنتين من إعادة الأمن والاستقرار والنظام إلى مصر فعد المؤسس لأسرة حاكمة جديدة من ق.م). (مرعي، ص 222. صالح ، 1980، ص 1182–1184تاريخ مصر هي الأسرة العشرين (، 2008–2007، 219). ونتيجة لكبر سنه ولضمان الحكم من بعده لأسرته قام Ahmed238.

بتعيين ابنه رمسيس الثالث شريكاً له في الحكم. (سعد الله، محمد علي، في تاريخ مصر القديمة، ج1، الإسكندرية، 2001، ص 306. سليم، 2008، ص 87). ولأن ست نخت لم يكن وريث شرعي ولم يصل للحكم وفقاً لحقه في الوراثة فقد توجب عليه أن يعتمد على الآلهة التي صورت الملك بمظهر المنقذ فكان أول ما توجب على ابنه الملك رمسيس الثالث (وسر ماعت رع – حقاً أونو) 1182– ، 2008–2007، 219). تأكيد شرعية حكمه Ahmed ق.م)(صالح، 1980، ص 238. (1151 وتتويجه كملك وكان أول ما فعله هو الحصول على الألقاب التي تضاف إلى اسم الملك الوريث للحكم وكانت خمسة ألقاب لكن الأوصاف عن طريق اسم المضمون الديني هو الذي يميز به المصريون ملك من ملك آخر، فكانوا يعرفون رمسيس الثاني باسم رمسيس يرى آمون (أي رع هو الذي أنجبه، محبوب آمون)، أما رمسيس الثالث فهم يسمونه: رمسيس حقاً إيونو (أي رع، رب هيلوبوليس، وهو الذي أنجبه). (جراندييه، بيير، رمسيس الثالث (قاهر شعوب البحر)، مصر، 2003، ص 47). كما عد المؤرخون الملك رمسيس الثالث هو المؤسس الحقيقي للأسرة العشرين والذي طال عهده واستمر حوالي 32 عاماً وهو آخر الملوك العظام أمثال الملك تحوتمس الثالث ورمسيس الثاني في عصر الدولة الحديثة.(جراندييه، 2003، ص 198).

ثالثاً: حكم الملك " رمسيس الثالث " والأوضاع السياسية:

الأخطار الخارجية:

تفقد المعابد كانت أول خطوة يجب القيام بها بعد تسلم مقاليد الحكم حيث يتم تفقد كنوزها ومخازن غلالها وقرابينها الإلهية وذلك من أجل الآباء آلهة وإلهات مصر العليا والسفلى. (جراندييه، 2003، ص 198،199). وكانت هذه الخطوة على درجة من الأهمية وذلك لأن أي تغيير فيمن يتولى العرش أو ضعف في المؤسسة الملكية كان يترتب عليه التمرد والعصيان في نطاق ممتلكات مصر الخارجية، والاختلاس والاستيلاء على أموال المؤسسات من جانب موظفيها أنفسهم والاستحواذ غير الشرعي من جانب كبار موظفي المؤسسات الأكثر نفوذاً على المؤسسات الأقل قوة ومقدرة وأيضاً يؤدي ذلك إلى تراخي وتكاسل في تنفيذ مهام الوظائف وإلى

تدهور مباني هذه المؤسسات في الإطار الداخلي.(مرعي، 2005، ص 228،229) لذلك كان يتوجب على أي ملك عند اعتلائه العرش إثبات مدى قوته وجبروته وتحكمه بزمام أمور دولته وكان هذا ما فعله رمسيس الثالث الذي أصدر القرار بتفتيش المعابد في السنة الخامسة من حكمه لكنه لم ينفذ إلا في السنة الخامسة عشر وذلك لإنشغاله بالحروب الخارجية لتأمين حدود مملكته من الغزوات الشرسة ومن بعدها التفت للأمور الداخلية. (سعد الله، 2001، ص 306).

لم تكن مهمة الملك " رمسيس الثالث " خلال فترة حكمه الطويلة سهلة على الإطلاق، فقد استلم الحكم بعد سنتين فقط من حكم والده " ست نخت " وآنذاك كانت مصر على درجة من الضعف نتيجة مشاكل داخلية حول تولي العرش بين حكام الأسرة التاسعة عشرة، والجدير بالذكر هنا أن الأربع سنوات الأولى من حكمه كانت المعلومات عنها قليلة، إلا أن نتيجتها كانت واضحة لأنه أعاد لمصر قوتها وإستطاع مواجهة أخطاراً خارجية جسيمة أتت من الغرب والشمال والشمال الشرقي مما جعلته يخوض الحروب من السنة الخامسة من حكمه حتى السنة الحادية عشرة. (باقر، 2011، ص 81. سعد الله، 2001، ص 306. مرعي، 2005، ص 223)

ومما ساعده في التصدي لهذه الأخطار الجسيمة وضع الجيش الذي كان يحتل مرتبة المؤسسة الرئيسية في مصر والذي تم تأسيسه قبل عهد الملك " رمسيس الثالث " بثلاثة قرون في عصر الأسرة الثامنة عشرة التي كانت تتبع سياسة التوسع فكان جيشاً مدرباً منظماً على أعلى مستوى، ولم يقتصر دور الجيش على التوسع خارج حدود مصر بل كان له دوراً مهماً ومميزاً في نطاق سياسة مصر الداخلية، والأهم من هذا كله أن الملك " رمسيس الثالث " كان على دراية تامة بأحوال الجيش واحتياجاته ومستلزماته لأنه كان هو ووالده من قبله من أبناء هذا الجيش. (جراندييه، 2003، ص 144). كما كان من المهام الرئيسية للملك (جراندييه، 2003، ص 142) هي الحروب التي كانت تتسم بسمتين: الأولى سمة التوسع خارج حدود مصر والثانية سمة حماية حدود الدولة من أي اعتداء خارجي، لكن حروب الملك " رمسيس الثالث " كان لها سمة خاصة وهي سمة الدفاع عن حدود دولته ضد قبائل أطلق عليها "قبائل شعوب البحر" وليس ضد دول كما في السابق. فالحروب السابقة كانت تقوم نتيجة العداء بين الدول مثل دولة مصر ودولة

ميتاني أو دولة خاتي أو غيرها من الدول، أو كانت تقوم الحروب نتيجة فتوحات توسعية بسوريا فكانت الحروب بين بلاد مابين النهرين وبين الدولة المصرية مثلاً وكان من الممكن أن تنتهي بمعاهدات أو مفاوضات. (جراندييه، 2003، ص 143).

ففي السنة الخامسة من حكم الملك " رمسيس الثالث " تعرض لخطر محدق من الليبيين الذين قدموا على شكل جيش جرار من الجهة الغربية وبالتالي فإن حماية حدود مصر الغربية كانت تحتل الأولوية بالنسبة للملك، خاصة أن الليبيين جاؤوا بهدف السيطرة على الأراضي الغنية في الدلتا والطمع في خيرات مصر، (سعد الله، 2001، ص 306. مرعي، 2005، ص 223. Aboud, Jehad, The European Invasion and the Unity of Destiny-Anatolia, The Levant and Egypt (In the Second half of the Second Millennium BC.), Damascus University Magazine, folder 36, No.4, 2020,160. فهاجموا العديد من المدن ودمروها ونشروا الذعر في قلب السكان المصريين. لكن الخطر الليبي لم يكن جديداً فقد قاموا بمهاجمة مصر في عصر الملك " مرنبتاح " من قبل واستطاع التغلب عليهم، وكان يجب على الملوك دائماً مواجهتهم وتبديد أطماعهم في الاستيلاء على مصر. (سليم، 2008، ص 88).

إن أي ضعف يحدث في السلطة نتيجة ضعف الملوك أو إنتقال الحكم من أسرة إلى أخرى كانت تعقبه تبعات داخلية وخارجية، فكان التمرد داخلياً يحدث في نطاق المعابد وإهمالها وسرقة مواردها أما خارجياً فكان يأخذ منحى آخر وهو تمرد المناطق البعيدة من الإمبراطورية بهدف الحكم الذاتي والمنحى الثاني الخارجي كان هجوم شعوب رحل شاردة همجية وعلى درجة من التخلف والإبتعاد كل البعد عن الحضارة، (جراندييه، 2003، ص 143). وهكذا كان حال القبائل الليبية اللذين كانوا دائماً في إنتظار أي فرصة يستطيعون من خلالها الهجوم على مصر والاستيلاء على خيراتها وسلب ونهب قراها من ناحية الدلتا للتخلص من ظروف معيشتهم الجدباء القاحلة. (جراندييه، 2003، ص155. Ahmed ، 2008-2007، 219). لكن في عهد الملك " رمسيس الثالث " كان هناك ثلاثة أسباب إضافية لهذه الحروب أولها هو التزايد السكاني في ليبيا حيث تضاعف عدد سكان هذه الشعوب وأصبحت موارد الصحراء المقيمين فيها شحيحة وغير كافية لهذا التضخم فكان التعويض عن هذا النقص بأسلوب معيشة يعتمد على الغزو

والقرصنة، أما ثاني الأسباب كان تعرض منطقة شرق حوض البحر الأبيض المتوسط حوالي عام 1200 ق.م لفترة من القحط والجفاف مما دفع القبائل الليبية إلى اتخاذ قرار نهائي بهجرة أرضها والبحث عن مأوى جديد وكانت مصر هي الملاذ الآمن والخيّر،(جراندييه، 2003، ص 144). والسبب الثالث والأهم والذي جعل حروب الملك " رمسيس الثالث " تأخذ فترة طويلة من سنين حكمه هو أن هذه الشعوب كانت عبارة عن قبائل متنقلة ليس لها حدود أرض معينة يمكن التوجه لإحتلالها والسيطرة عليها بل كانت تفتقر إلى أي بنية أساسية لتكوين دولة يمكن التفاوض معها، لذلك كانت هجماتها قد وصفت بهجمات الوحوش الكاسرة والكوارث الطبيعية ونتيجة لهذا الوضع المستجد توجب على ملك مصر أن يحيط مدنها بساحات حصينة منيعة وأن يستغل أي فرصة مناسبة لتلقينهم درساً قاسياً ليبعدهم عن حدود مصر. (جراندييه، 2003، ص 2007–2008، 219.). وعلى الرغم من كل هذه الهجمات الشرسة إستطاع الملك Ahmed 143. "رمسيس الثالث" من تحقيق الإنتصار على الليبيين وحماية حدود بلاده وذلك نتيجة الجيش القوي المدرب وأيضاً نتيجة مباركة الآلهة لكل خطواته.

ولم يكد الملك " رمسيس الثالث " ينتهي من حربه الضروس مع القبائل الليبية والاحتفال بنصره الكبير حتى جاءت السنة الثامنة من حكمه حيث واجهت فيها مصر تهديداً خطيراً من شعوب يطلق عليها اسم " شعوب البحر " وفي النصوص المصرية اسمها " الشماليون الذين في جزرهم ، 2007–2008، 220–219.). وهذه الشعوب هي عبارة عن Ahmed" (سليم، 2008، ص 89. كيان بشري ضخم يعتمد على الهجرة والترحال يمتلك عتاد بحري فائق التطور وله نمط غريب وغير مألوف في الحياة فهو يعتمد على غزو المدن من عرض البحر والقرصنة التي كانت بالنسبة لهم عمل مثار للفخر (جراندييه ، 2003، ص 165،166). فبدأت شعوب البحر هجومها البري بدءاً من جزر بحر إيجة فقامت بتدمير المملكة الحثية في آسيا الصغرى نزولاً باتجاه الساحل السوري حيث قضت على عدة مدن منها كركميش، ألالاخ، أوجاريت ومنها ناحية الجنوب حتى وصلت إلى دلتا النيل من الشرق وذلك كله بالتزامن مع جماعة ثانية من شعوب

البحر جاءت من الشمال إلى مصب فرع النيل الشرقي من البحر المتوسط بسفنها الحربية وقد ، 2020، 161-162).Aboud(مرعي، 2005، ص224،223. صالح، 1980، ص240،239. كانت الواجهة الشرقية كلها للجناح الشمالي للصرح الثاني بمعبد مدينة هابو كتابة تحدث فيها الملك "رعمسيس الثالث" أحداث الغزو الشمالي لسوريا:

" العام الثامن من عهد جلالة حورس (رمسيس الثالث) تآمرت البلاد الأجنبية في جزرها، ومرة واحدة انقسمت الأراضي وتبعثرت الأقطار بالمعارك، ولم تكن هناك أرض يمكنها أن تقف أمام أسلحتهم، من خاتي (ختا) وقودي (قدى) وقرقميش (ق-را-قا-م-شا) وأرزاوا (برث فينيقيا) ، 2007-2008، ص270. الحويلي، Ahmed *وآلاشيا (برس-قبرص)، سُحقوا في وقت واحد."* (2015، ص 195)

" وقد (نصبوا) معسكرات في مكان واحد في أمورو (أ-م-را)، فأهلكوا أهلها، وأصبحت أرضها كأنها لم تكن ..... وأتوا نحو مصر، ولكن اللهب كان مجهزاً أمامهم، وقد كان حلفهم من أقوام بلست (بو-را-سا-ت) وثكر (ثا-ك-كا-را) وشكلش (شا-ك-رو-شا) ودانون (دا-ى-ن-يو) ، Ahmed *ووشش (وا-شا-شا)، حتى امتداد الأرض، وقلوبهم واثقة إن خططنا ستنجح ...".* (2007-2008، ص270. الحويلي، 2015، ص 195)

" أولئك الذين وصلوا حدودي، بذورهم كأنها لم تكن، قلوبهم وأرواحهم انتهت إلى أبد الآبدين، أما بالنسبة إلى أولئك الذين تجمعوا أمامهم في البحر، فقد كانت النار المستعرة في انتظارهم أمام مدخل الميناء، لقد جُروا وكُبوا على وجوههم، وطُرحوا أرضاً على الشاطئ، وقُتلوا وجُعلوا أكواماً من مقدم إلى مؤخر سفنهم، في حين كل أشيائهم متناثرة على الماء، لم أسمح للبلاد الأجنبية بأن يروا حدود مصر". (الحويلي، 2015، ص 195)

بعد ثلاث سنينن من مواجهة الملك " رمسيس الثالث " لشعوب البحر وبالتحديد في العام الحادي عشر من حكمه تعرض لهجوم ثاني من القبائل الليبية التي لم تتقبل الهزيمة المنكرة التي

تعرضوا لها في العام الخامس من حكم الملك فكانت هذه الحملة هي للانتقام والهجرة والاستيطان في الدلتا، وكانوا قد اتحدوا تحت إمرة أميرهم " مششر " ابن ملك المشواشين "كبر".(سعد الله، 2008–2007، ص 222). لكن في حقيقة الأمر أن هذا الهجوم لم Ahmed2001، ص 307. يكن بقوة الهجوم الأول فقد كان أقل ضخامة من حيث العدد وقد استمرت هذه الحملة لمدة ستة أشهر، (جرانديبه، 2003، ص168. 2008–2007، ص 222). إستبسل خلالها الجيش Ahmed المدرب والذي أثبت كفاءته في الدفاع عن حدود بلده وانتهت الحرب بالانتصار والقضاء بشكل نهائي على المشوش المعتدين والغنائم كانت بأرقام كبيرة من الرجال والنساء والأطفال والعربات والعتاد والماشية، ولكن الغنيمة الأكبر كانت القضاء على الزعيم " مششر " رأس الحربة (سليم، 2008–2007، ص 222). وكانت أخبار النصر الكبير قد وصلت Ahmed2008، ص 88. مصر ورجال الكهنة كانوا في انتظاره في طيبة وكما هي عادة الملوك كانت تمثل أمام الإله آمون لأخذ مباركته وشكره على نجاحه في مهمته وتقديراً له قدم الأسرى كهبة من أجل خدمة أملاك هذا الإله. (جرانديبه، 2003، ص 194).

ومن شدة فرح المصريين بهذا الانتصار وبملكهم العظيم المبارك من الآلهة فقد اعتبروه حدثاً سنوياً يحتفلون به وسموه "عيد قتل المشوش"، (سليم، 2008، ص 88). ومن ناحية أخرى مكملة للانتصار هي تمكن الملك من كسر شوكتهم لدرجة أنه لم يعد هناك من داعي للخوف من هجوم آخر من جهة الغرب. (سعد الله، 2001، ص 307). بالمقابل فإن الليبيين لم يحاولوا التفكير بهجوم مسلح لكنهم لم يتخلوا عن حلمهم في الاستيطان في منطقة غنية وخيراتها كثيرة لذلك اتخذوا طريقاً آخر فبدأوا بالهجرة السلمية والتغلغل بين الشعب المصري حتى كونوا بمرور الوقت كتلة كبيرة استطاعت أن تفرض نفسها على الساحة المصرية. (سليم، 2008، ص 89).

بتصدي الملك " رمسيس الثالث " للأخطار الخارجية وانتصاراته تمتعت مصر بسلام كانت بحاجة له بعد فترة الإضطرابات التي مرت بها نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين لسلالة لم يكن حكامها وريثين شرعيين للحكم وحروب كانت لها نصيب كبير من الشراسة، فاعتبر رمسيس الثالث آخر ملوك الدولة الحديثة العظام فهو الملك الذي أمّن حدود مصر ولم

يعد هناك من يستطيع تهديد مصر. فعادت عناصر الأمن والنظام بكافة أنحاء مصر وذلك بفضل الجيش الذي إستبسل في الذود عن حدود بلاده فنعم براحة جدير بها، حتى الجنود المرتزقة وعلى الرغم من أنهم كانوا يعيشون في مستعمرات كانت قد أعدت لأجلهم كانوا أيضاً يعيشون مع أسرهم بسلام. (جراندييه، 2003، ص 197. سعد الله، 2001، ص 307).

الوضع الداخلي في مصر في فترة حكم الملك رمسيس الثالث:

بعد أن نعمت مصر بالأمن والاستقرار أصبح بإمكان الملك " رمسيس الثالث " أن يلتفت إلى الأمور الداخلية المؤجلة من بداية حكمه والذي أصدر قراراته بشأنها في العام الخامس من حكمه لكن لم يكن يمتلك الوقت لتنفيذها بسبب الحروب المقدسة التي كان يتوجب عليه خوضها، لكنه وفي العام الخامس عشر بدأ فعلياً بتنفيذها واتخذ الخطوات اللازمة من أجل بناء كيان دولة قوي اتبع فيه خطى الملوك العظام من قبله. (جراندييه، 2003، ص 198). فكان أول ما بدأ به هو إعادة تنظيم الكيان الإداري على أسس تهدف إلى تثبيت سلطته وسيادته بتكوين كيان اجتماعي يدين له بالولاء ويعتبر قاعدة سياسية صلبة، فاعتمد على أصحاب الخبرة إدارياً والذين لا يشك بولائهم المطلق له، وإضافة إلى ذلك توكيل بعض الشباب المميزين بوظائف هامة وعلى قدر كبير من المسؤولية. (جراندييه، 2003، ص 64،65).

كما كانت هناك خطوة على درجة كبيرة من الأهمية كان يتبعها كل الملوك من قبله ألا وهي القيام بزيارة تفتيشية شاملة لكافة المؤسسات الدينية التي تتضمن تفقد كنوزها، مخازن غلالها، قرابينها الإلهية، إصلاحها، ترميم المهدم منها، مراجعة الحسابات، أحوال أثاثها، أدواتها الشعائرية والأهم هو سن قوانين جديدة بهدف حمايتها من إستغلال بعض المؤسسات الأخرى وكذلك لحماية العاملين بها وقطعانها. (جراندييه، 2003، ص 199). فصدر أمر الملك " رمسيس الثالث " بتحديد المناطق التي يتوجب على المختصين التوجه إليها للقيام بعملية التفتيش وكانت في الحقيقة تضم مصر كلها من المناطق الشمالية إلى الجنوبية منها ومن منف إلى إلفنتين تحت إدارة رئيس قسم المحفوظات بالخزانة الملكية وكان يدعى " بن بان ". وذلك لما

لهذه الوظيفة من أهمية كبيرة لأن مكتب المحفوظات كان يتبع الخزانة الملكية وكانت تحفظ فيه الأصول الخاصة بكافة المراسيم المتعلقة بإنشاء جميع مؤسسات مصر، والأصول المتعلقة بالهبات التي تلقتها، والقواعد القانونية التي تحدد أرباحها وقطعانها وممتلكاتها العقارية وما تملكه من عبيد. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل كانت بعض النسخ وعلى حسب أهميتها يتم نقشها على لوحات ذهبية أو فضية أو نحاسية توضع ضمن ناووس الإله الحامي لمختلف تلك المؤسسات، ولكي تملك الشرعية وأحقية التنفيذ كان واجب نشرها على الملأ حيث يتم نقشها على لوحات حجرية أو على جدران المعابد مرفقة بالعقوبات على من ينتهك هذه القوانين. (جراندييه، 2003، ص 199،200).

ولم يكتف الملك " رمسيس الثالث " بالمعابد الموجودة وتأهيلها بل وانطلاقاً من فكرة أن الملك وحكمه وحكمته وقدرته على اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة الشعب هذا كله مستمد من الآلهة ورضاها فقد اتسمت سنين حكمه الطويلة بشغفه بتشييد معابد جديدة خاصة بعد إعادة الأمن والاستقرار لمصر وذلك نتيجة انتصاراته بكل الحروب الشرسة التي خاضها وما نتج عنها من تدفق لثروات هائلة وغنى كان النصيب الأكبر منها للفرعون وحاشيته وكبار رجال الجيش وخاصة كبار رجال الدين الذين أصبحوا يشكلون من قوتهم وغناهم والإمتيازات التي حصلوا ، 2008–2007، 223). فكان هناك Ahmedعليها دولة ضمن دولة، (صالح، 1980، ص 242. معبدان أحدهما ضخم كبير " معبد حابو " (سليم، 2008، ص 88. يوجد اختلاف بالمراجع بين "حابو" و"هابو"). في غرب طيبة خصص للإله آمون وإقامة شعائره وتقديراً لأهميته نقشت على جدرانه الخارجية كل مشاهد المعارك الخارجية التي قام بها الملك بتفاصيل ممتعة وعلى درجة عالية من الإتقان. (مرعي، 2005، ص 227). والآخر معبد صغير في رحاب الكرنك بشرق طيبة كان مخصصاً لاحتفالات الملك باليوبيل ووصل المعبدان إلى درجة الكمال من حيث العناصر المعمارية واللوحات المنقوشة. (صالح، 1980، ص 242. مرعي، 2005، ص 227). ولطالما احتفظت مدينة طيبة بمكانتها المميزة من بداية حكم ملوك مصر والذين أظهروا كلهم بدون استثناء الإيمان والقدسية تجاه إله هذه المدينة " آمون " حتى أصبح المركز الرئيسي ذو القوة الاقتصادية الضخمة وصاحب اليد العليا على كافة الفروع سواء داخل مصر أو حتى خارجها،

كما قدم الملوك كل شيء لنيل الرضا والمباركة الذي لم يقف عند ترميم المعابد القائمة أو بناء الجديد منها وإقامة التماثيل والنصب بل إلى أكثر من ذلك فقد اهتموا بتطويرها ومضاعفة الخيرات والمنتجات المقدمة من ست وخمسين مدينة من مدن مصر وحتى من بر رمسيس نفسها، ولم يكن " النبي الأول لآمون " والذي يحمل لقب " مدير جميع كهنة آلهة طيبة " هو رئيس معبد الكرنك فقط بل كان أيضاً " المدير الإسمي لكافة معابد طيبة " ومديراً على كافة معابد مصر التي تمارس في نطاقها شعائر آمون وأيضاً على المراكز التي أقام فيها الملك "رمسيس الثالث" تماثيله حتى في القرى البعيدة، بذلك أصبح النبي الأول لآمون بمرور الوقت ، Ahmedعلى درجة من القوة تضاهي قوة الملك نفسه. (جراندييه، 2003، ص 207-206. 2008-2007، 223).

وكدليل على اهمية عمليات التفقد والتفتيش لكل معابد مصر التي يوليها الملوك هناك وثيقة تدعى " بردية هاريس – 1 " جاء فيها تفاصيل البرنامج الضخم الذي قام به الملك " رمسيس الثالث " لإعادة تأهيل هذه المعابد حيث جاء في حديثه الموجه لآلهة مصر:

" لقد قمت بتنظيم ممتلكاتكم، وفقاً لما أصدرته من مراسيم حفظت بمختلف مكاتب المحفوظات وهي تتعلق بالعاملين بها، وبأراضيها وقطعانها ومراكبها. [...]. ولقد أعدت بناء وترميم معابدكم التي كانت قد أصبحت أطلالاً منذ أمد بعيد. وكرست من أجلكم العديد من القرابين بالإضافة إلى ما هو مكرس من قبل، لكي توضع أمامكم. وأمرت بصنع حلى لتماثيلكم بورش صناعة المصوغات، من الذهب الخالص، والفضة واللازورد والفيروز. وأصدرت أوامري بإجراء حصر لما هو موجود في خزائنكم، وأثريتها بالنفائس التي لا تحصى ولا تعد. وملأت مخازن غلالكم بالشعير والقمح بكميات وفيرة. وشيدت من أجلكم الكثير من النصب والمعابد، التي تحمل أسماءكم إلى الأبد، ونظمت أحوال جموع العبيد الذين يعملون في معابدكم. فأضفت إليهم أعداداً أخرى. ولم أحاول الاستحواذ على أي من العاملين بمعابد أي إله. وبالرغم من كل ذلك، كان بعض ملوك العصور الغابرة يفعلون ذلك، من أجل اتخاذهم كجنود أو سائقي مركبات لجيوشهم. ولقد أصدرت مراسيم، من أجل تنظيمهم، وحتى يستفيد بها من يخلفني من الملوك. ولقد أحضرت أمامكم، ومن أجلكم، أنماطاً من القرابين تتكون من كافة أنواع الخيرات الطيبة.

وأقمت من أجلكم الكثير من المصانع الصغيرة [لإعداد القرابين]، الخاصة بالشعائر اليومية، وملأتها بمختلف أنواع الأغذية والمأكولات. وأمرت بصناعة أدوات لموائد قرابينكم، من الذهب، والفضة، والنحاس [...]. وعملت على بناء وتجهيز مراكبكم النيلية ". (جراندييه، 2003، ص 203).

هذا البرنامج ظل لفترة طويلة معتمد من قبل الملوك الذين جاؤوا من بعد الملك " رمسيس الثالث " وذلك لكمال خطواته. كما كانت هناك خطوة أخرى لتأكيد قوة وزعامة الملوك على كل أنحاء مصر والتي اتبعها الملك " رمسيس الثالث " بدوره وهي إقامته في القصر الفسيح الذي تم بناؤه في عهد الأسرة التاسعة عشرة الذي إعتاد الملوك الإقامة فيه فور تسلمهم الحكم الواقع بمدينة "قنطير" شمال أواريس، هذا القصر المترامي الأطراف بلغت مساحته حوالي خمسة وثلاثين هكتاراً وكان يحتوي على معبد "عشتارت"، أحياء سكنية، حمامات، قاعات للاحتفالات، مكاتب، مصنعاً للأسلحة، مستودعات لتخزين العربات الحربية وحديقة لبعض الحيوانات النادرة، كما كان هذا القصر محاطاً ببيوت كبار رجال الحكم وبثكنات للكتيبة العسكرية المنحدرة من أصول أجنبية، هذا القصر كان أشبه بمدينة كاملة متكاملة لا ينقصها شيء. (جراندييه، 2003، ص 62).

لكن وعلى الرغم من بدء سنين حكمه في هذا القصر إلا أن الملك رغب بأن يكون له قصره الخاص به فأمر بتشييد قصرين (صالح، 1980، ص 242. Ahmed ، 2008–2007، 223). الأول أطلق عليه " دار رمسيس–حقاً أيونو، المفعم بالنصر" الذي لم يكن يقل عن القصر الفسيح حيث كان أشبه بمدينة صغيرة فيها كل ما يحتاجه الملك من أجل القيام بأعباء الحكم من إدارة شؤون البلاد وإصدار مراسمه وانطلاق مبعوثيه في مختلف المهام كما حوى على معبد حمل اسم الملك " معبد رمسيس الثالث" من أجل آمون أحضر إليه أفخر المقتنيات ووهب المدينة لأملاك آمون طيبة وكان هذا القصر على درجة من الجمال أشبه بمنتزه حيث الحدائق والأشجار الباسقة، هذا جعل الملك بحاجة إلى عدد كبير سواء من أسرى الحرب أو من المصريين لخدمته حتى قدر العدد بالآلاف.(جراندييه، 2003، ص 62،63). أما القصر الثاني كان يقع جنوب عاصمته

بسبعين كيلومتر قريباً من الأراضي الصحراوية بمكان عرف باسم "تل اليهودية" أطلق عليه " بيت النزهة"، لم يكن كبيراً مثل القصر الأول بل كان أصغر احتوى على معبد كان يلجأ إليه الملك ليرتاح من أعباء الحكم. (جراندييه، 2003، ص 63). كما أمر بأن يكون له قصراً خاصاً رسمياً في كل من مدن مصر الرئيسية وهذه عادة درج عليها كل الملوك الذين سبقوا الملك " رمسيس الثالث" والذي كان حريصاً بدرجة كبيرة أن يتبعها نتيجة عدم شرعية تسلمه للحكم.

ومن الخطوات التي درج الملوك على إتباعها أيضاً من أجل تأكيد سلطتهم وتقوية حكمهم والتي مشى عليها بدوره الملك
" رمسيس الثالث " تشييد التماثيل التي تمثلهم بجانب الإله المحلي سواء بالمدن والأقاليم وحتى القرى الصغيرة وإقامة الشعائر من أجلها، لما لهذه الخطوة من أهمية وأكبر دليل على ذلك أن الملك " ست نخت " وعلى الرغم من فترة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز السنتين كان قد أمر بإقامة نصب وتماثيل له في منطقة مصر الوسطى. (جراندييه، 2003، ص 63). أما بالنسبة لعدد تماثيل ابنه فقد تجاوزت 2756 تمثالاً على مدى فترة حكمه الطويلة والتي كان قد خصص لها مقداراً لايقل عن ثلاثة أطنان من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على قوة وغنى الدولة ونفوذ الملك على كل أرجاء مملكته، وكان نتيجة لكل هذا ومع مرور الوقت أن تحولت هذه التماثيل إلى آلهة فعلية تعبد وتقام لها الشعائر لفترة طويلة حتى بعد موت صاحبها. (جراندييه، 2003، ص 67). كما كانت هناك خطوة لا تقل بأهميتها عن غيرها من الخطوات التي إتبعها الملوك في تأكيد قوة نفوذهم وسيطرتهم على كل أنحاء البلاد بما فيها أقصى أنحاء مصر على مسافة خمسمائة كيلومتر جنوباً حيث تقع منطقة "النوبة" التي يسكنها قبائل متعددة والتي لم تكن توفر أي فرصة سواء تغيير أو ضعف في السلطة إلا وتمردت وأعلنت عصيانها.(جراندييه، 2003، ص 68).

ومع أن هذه التمردات لم تكن لتؤثر على السيادة المصرية التي كانت محمية بجيش مجهز ومدرب على مستوى عالي جداً بالإضافة إلى الحصون والقلاع المنيعة(جراندييه، 2003، ص 69). إلا أن الملك " رمسيس الثالث " أمر ببناء قصرين يحملان إسمه وقام بحملة سريعة لتلك

المنطقة لا نستطيع تسميتها بحرب إلا أنه كان الهدف من هذا كله إستعراض قوته ومدى إتساع حدود مملكته وغنى دولته وإحضار عدد كبير من العبيد بأرخص الأسعار واستثمار مناجم الذهب الموجودة فيها، (جراندييه، 2003، ص 69). هذه الحملة الخاطفة التي إعتاد الملوك الأقوياء على القيام بها إلى النوبة كان لها هدف آخر غير إستعراض القوة وهو مشاركة الأمراء الصغار ورثة العرش وذلك لتدريبهم على فنون القتال ليكونوا جاهزين لتولي الحكم والقيام بالحروب المقدسة الواجبة على كل ملك من أجل الدفاع عن حدود بلاده والحفاظ عليها من أي اعتداء. (جراندييه، 2003، ص 50).

وحتى تكون الدولة على درجة كبيرة من القوة والهيمنة كان يجب أن تتمتع بالإضافة إلى كيان إداري محنك إلى اقتصاد قوي مزدهر والذي كان يجب أن يكون تابعاً بشكل مباشر للسلطة الحاكمة، (جراندييه، 2003، ص 198). وكدليل على قوة الحكم لم يكن معروفاً في تلك الأيام ما يسمى " مبدأ التجارة الحرة " بين الدول لذلك كان يتوجب على الملوك تجهيز وإرسال الحملات للحصول على المنتجات التي لم تكن متوفرة أو موجودة بشكل ضئيل في مصر والتي كانت ضرورية للشعب المصري لإقامة الشعائر والطقوس والحرف اليدوية والأعمال العمرانية مثل أخشاب الأرز من لبنان، والنحاس والفيروز من آسيا وسيناء، والمر والصبر من بلاد البونت التي تقع على سواحل البحر الأحمر حيث تفصلها مسافات بعيدة عن مصر باتجاه الجنوب. وكان الملوك الأقوياء من شغفهم في الحصول على البضائع المستوردة بالمعنى الحالي ونتيجة استقرار أمور بلادهم الداخلية والخارجية كانوا يقومون بالاستعراض من خلال الحملات الكبيرة إلى بلاد البونت وهذه حال الحملات التي قام بها الملك " رمسيس الثالث " والتي قامت بها من قبله الملكة " حتشبسوت " في عصر الأسرة الثامنة عشرة وأمرت بنقش كل تفاصيل حملتها لما اتصفت به من مظاهر العظمة على جدران معبدها الجنائزي بالدير البحري، (جراندييه، 2003، ص 283). ولم يكتف الملك بما قام به من حملات خلال سنوات حكمه الطويلة بل قام أيضاً في السنة العشرين بإرسال حملة إلى منطقة " تيمناع " ضد بدو " بلاد سعير " (إدم) جانب خليج (جراندييه، 2003، ص 143،142). العقبة في جنوب النقب للحصول على النحاس.

3- التغيير الذي طرأ على مكانة الملك:

لقد عرف منذ بداية عصور الدولة المصرية وعلى مدى تاريخها الطويل أن الملك هو أداة من صنع الآلهة وقدمت نصوص وآثار مصر القديمة صورة نموذجية عن الملك:

" إنه الملك المطلق النفوذ، الذي يعلو فوق مرتبة البشر، سليل وخليفة رب الأرباب خالق الكون كله... فهل كان البشر،
بعد كل ذلك، يستطيعون مناقشة أوامره أو الجدال فيها؟... إنهم جميعاً، كبار القوم أو صغارهم، يشعرون إزاءه بالرهبة المشوبة بالورع والتبجيل، ويهرعون إلى تلقي نصائحه، ويستمعون إلى عباراته وقد خروا ساجدين أمامه. ولا ينطقون إلا بذكر روعته وكمال قراراته. وهم بذلك، يعلمون علم اليقين أن ولاءهم الفائق وطاعتهم المطلقة له هي السبيل الوحيد لضمان نجاحهم الاجتماعي وتوفيقهم." (جراندييه، 2003، ص 293).

وحتى ضمن ترتيب طبقات المجتمع المصري كان الملك وأفراد أسرته يعدون خارج التصنيف ومكانتهم المرموقة فوق طبقات المجتمع جميعها، والتي تتألف من ثلاث طبقات: الطبقة العليا والطبقة الوسطى وطبقة العبيد، فكان النبلاء والأشراف وكبار الموظفين والكهنة الذين يتحكمون بمقاليد الأمور والثروة هم أفراد الطبقة العليا، والعمال والصناع الأحرار والفلاحون الأحرار يشكلون أفراد الطبقة الوسطى، والطبقة الثالثة كان مصدرها الرئيسي الحروب الخارجية والتي جاء الملك " رمسيس الثالث " على ذكر رقم (113000) عبد كان قد قدمهم كهدايا إلى المعابد المهمة في مصر خلال فترة حكمه الطويلة بالإضافة إلى عدد كبير من الطبقات الدنيا من المصريين أنفسهم الذين فرض عليهم الملك العمل القسري في مشاريعه الكثيرة.(باقر، 2011، ص 193).

لكنه حصل شيء جديد على هذه الصورة النمطية للملك على مر الوقت وخاصة بعد حركة التوحيد التي شهدتها مصر خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة أو كما أطلق عليه " عصر

العمارنة " أن شهدت الدولة الحديثة التي سميت " عصر الرعامسة " وذلك كون الملك هو أداة من صنع إله أعلى أحد مطلق القوى وأنه قادر على إحراز النصر في كل أعماله التي يقوم بها بدون أي جهد وكان سلاحه إرادته وقواه الجسدية فقط، وأكبر دليل على ذلك عندما توجه الملك " رمسيس الثالث " بالدعاء لآمون بهذه العبارة: *" إنه لمحظوظ هذا الذي ينعم بعنايتك الإلهية "* ، ولم يكتف بهذا فقط بل استعان بعبارات قريبة إلى درجة كبيرة من التصوف وكل ذلك من أجل تبجيل هذا الإله. (جراندييه، 2003، ص 55). فكان عصر الدولة الحديثة هو ترسيخ لمفهوم " الدولة الثيوقراطية " أي "حكومة إلهية يشرف عليها رجال الدين ". وأطلق على " أمون رع " لقب " ملك الآلهة" وأنه اختار الملك شخصياً من أجل تولي الحكم من بين ملايين البشر وذلك بفضل مزاياه وصفاته التي تؤهله ليكون المحارب والمجاهد من أجله والمؤتمن على عهده فوق الأرض.(جراندييه، 2003، ص 56).

لكن مصادر تاريخية أخرى قدمت صورة مغايرة تماماً لهذه الصورة المعروفة عن الملك بدءاً من ملوك الأسرة الثامنة عشرة حيث تم تصويرهم بأحجامهم الطبيعية، أشخاص عاجزين وحكام مستبدين، (جراندييه، 2003، ص 293). وخير دليل على هذا التغيير الإضطرابات التي حصلت في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " قبيل الاحتفال باليوبيل الملكي أو " عيد السد ".

رابعاً: الإضطرابات أواخر حكم الملك " رمسيس الثالث "

لم تكن السنين الأخيرة من حكم الملك " رمسيس الثالث " وقبيل الاحتفال باليوبيل الملكي على درجة القوة التي كانت في بداية حكمه، فقد حملت معها أمور جسيمة وصلت لدرجة تهديد حياة الملك نفسها. (سعد الله، 2001، ص 308). هذا العيد الذي يطلق عليه أيضاً " العيد الثلاثيني " أو "عيد السد " كان على درجة كبيرة من الأهمية حيث الشعب ينتظره بشغف لأن الاحتفال به يقتصر على الملوك الذين حكموا لفترة طويلة فكان يتم في العام الثلاثين من حكم الملك في مدينة " منف " حيث الملك يحصل من خلاله على تتويج جديد مهيب كما في بداية عهده في حضور جميع آلهة مصر الرئيسية(جراندييه، 2003، ص 294). ولأهمية هذه الخطوة كان الملك

يستقبل بنفسه المراكب التي تنقل تماثيل هذه الآلهة من كافة أنحاء مصر في مدينته " بر رمسيس" أو " بيت رمسيس" وذلك لتأكيد سلطته بعد مرور وقت طويل على حكمه، (جراندييه، 2003، ص 61،62). كما هناك إعتقاد ومن خلال إقامة الطقوس والشعائر التي تحمل فكرة الموت والبعث من جديد أن الملك حتى ولو أصبح متقدم في العمر يستطيع استعادة شبابه وحيويته. (جراندييه، 2003، ص 294).

هذا الضعف الذي حصل في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " يعود لأسباب اقتصادية منها داخلي ومنها خارجي، فالخارجي كان بسبب نهاية عصر البرونز وابتداء عصر الحديد الذي توجب على مصر الحصول عليه من دول أخرى من دول المنطقة لأنه لم يكن متوفراً في أرضها وهذا بدوره أرهق خزينة الدولة، (سعد الله، 2001، ص 308). أما الداخلي فكان يعود إلى المنح الضخمة والهدايا والامتيازات التي منحها الملك " رمسيس الثالث" للمعابد كافة في جميع أنحاء مصر وبخاصة معابد الإله آمون والذي أصبحت كهنته خاصة على درجة كبيرة جداً من القوة، (مرعي، 2005، ص 227. سعد الله، 2001، ص 308). كما نتج عن إشادة المشاريع العمرانية الكبيرة من قصور ومعابد والتي كانت على درجة من العظمة والأبهة وصرفه عليها ببذخ مبالغ فيه حصول أزمة اقتصادية حادة وصلت إلى درجة فقدان المواد الغذائية. (سليم ، 2008، ص 88. مرعي، 2005، ص 227 . سعد الله، 2001، ص 308). بالإضافة إلى إعتقاد الملوك بأن الأمان والرخاء والمناصب العالية ممكن أن تلعب دوراً مهماً في كسب وفاء وإخلاص الأجانب الذين وفدوا إلى مصر من الآريين والمسالمين من شعوب البحر وذلك منذ أواسط عصر الأسرة الثامنة عشرة وسُمح لهم أن يكونوا أفراداً ضمن الجيش المصري وسار على هذا النحو ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين حيث قلدهم الملك " رمسيس الثالث " مناصب قيادية في الجيش وجلسوا جنباً إلى جنب القادة المصريين وحصلوا على ثقة الملك لدرجة إعلانه قراراته أمامهم، (صالح، 1980، ص 242). ولم يتوقف الأمر على دخول الأجانب ضمن الجيش فقط بل تعدى ذلك إلى تواجدهم داخل البلاط الملكي والقضاء وتسلموا وظائف مهمة وأصبحوا من أصحاب القرار، كما كان لهم تواجد كبير كعبيد للخدمة في المعابد والتي كان يتباهى الملك " رمسيس الثالث " بأعدادهم الكبيرة التي حصل عليها من أسرى الحروب المقدسة التي قام بها وتقديمهم كهدايا

للكهنة حيث عملوا في المزارع والمحاجر والمناجم وفي شؤون العبادة، وبالنسبة إلى النساء الأجنبيات فكان تواجدهم على شكل زوجات أجنبيات أو جواري في القصور الملكية وقصور الأغنياء أيضاً فكان هذا مجال للتباهي بعدد الجواري والخدم. (صالح، 1980، ص 242،243). هذا التغلغل الكبير للأجانب في مجالات مصر الحيوية لم يكن بيوم من الأيام مأمون الجانب فطالما اليد العليا قوية تسير الأمور بخير لكن في حالات الضعف أو تزعزع صغير في القوة لن يكون هناك وارع يمنع الأجانب المتمصرين من الخارج من التمرد وإعلان العصيان ونكران الجميل ونسيان ما قدمت مصر لهم من حياة كريمة مستقرة لهم ولأولادهم. (صالح، 1980، ص 243).

إضراب دير المدينة:

كان نتيجة التدهور الاقتصادي في أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " وتحديداً في أواخر السنة التاسعة والعشرين قبيل الاحتفال باليوبيل الملكي حدوث أمر غير عادي وأول مرة يُسمع به عبر التاريخ وهو إضراب عمال الجبانة الملكية في دير المدينة عن العمل وذلك لعدم صرف الحكومة مستحقاتهم وأجورهم المتأخرة لمدة شهرين وعدم تمكنهم من الحصول على المواد الغذائية نتيجة ارتفاع أسعار الحبوب والتحضيرات الضخمة للحدث الضخم الذي يرهق الخزينة وانشغال الحكومة بتأمين ما يلزم بالإضافة إلى سوء الإدارة في الدير ولم يفضّوا الإضراب حتى أرادوه. (سعد الله، 2001، ص 308. مرعي، 2005، ص 227. سليم، 2008، ص 88. تم لهم ما جراندييه، 2003، ص 299).

هذا الإضراب كان الأول من نوعه لكن لم يكن الأخير فقد قام العمال بعدة إضرابات كلما تأخرت الحكومة في صرف مرتباتهم وكانت بعض الإضرابات تستمر لعدة أيام حتى يحصلوا على مستحقاتهم وفي إحدى المرات اضطر حاكم طيبة للحضور بنفسه للتفاهم معهم.(سعد الله، 2001، ص309). حيث نقل هذه المعاناة إلى الوزير الذي بدوره أبدى اهتمامه وأشرف على إصلاح أمور العمال بحيث يحصلون على أجورهم بوقتها وبدون أي تأخير ومن بعد هذا الإجراء

لم يعد هناك إضرابات وخير دليل على ذلك أن عمال دير المدينة شوهدوا في يوم الاحتفال باليوبيل الملكي بجوار الرمسيوم ينتظرون نصيبهم من خبز القرابين الذي يحق لهم الحصول عليه كهبة من الملك بمناسبة العيد. (جراندييه، 2003، ص 305،306). هذا الضيق الذي مرت به الدولة المصرية في أواخر عهد الملك ونتيجة كل الأسباب التي ذكرت من قبل إلا أنه كان للمعابد الكبيرة دور آخر وعلى درجة من الأهمية وذلك لأنه كان يتوجب على هذه المعابد المشاركة في مشروعات الدولة وأن تدفع نصيبها للخزينة، لكن هذا لم يحدث إلا بنسب بسيطة نتيجة نفوذ الكهنة وعلاقاتهم القوية بإدارات الدولة ومرافقها فحافظت بذلك على قوتها وغناها وزاد من غناها هبات الملك اللامحدودة. (جراندييه، 2003، ص 244). أما بالنسبة للمعابد الصغيرة فكان حالها شيء آخر حيث لم يصلها نصيبها مثل نصيب المعابد الكبيرة وكان ربع أوقافها يذهب لأيدي الموظفين أما العاملين فكان ينقصهم كل شيء لدرجة أنه لم يعد بالإمكان صرف مرتباتهم ومخصصاتهم من الطعام وهذا ما أدى إلى حصول الإضرابات. (جراندييه، 2003، ص 245).

مؤامرة الحريم:

لم تقتصر أواخر سنين حكم الملك " رمسيس الثالث " على الإضرابات فقط بل كان هناك ماهو أخطر فقد تعرض الملك إلى مؤامرة كبيرة عرفت باسم " مؤامرة الحريم " أو " مؤامرة النساء "(مرعي، 2005، ص 228. عدد من المؤرخين يقول "مؤامرة الحريم " وعدد آخر يقول " مؤامرة النساء"). كادت أن تودي بحياته وبإقصاء وريث العرش الشرعي الملك " رمسيس الرابع " عن الحكم لولا أنه تم الكشف عنها في الوقت المناسب. (سليم، 2008، ص89. سعد الله، 2001، ص 309. جراندييه، 2003، ص 294. صالح، 1980، ص 243).

هذه المؤامرة كانت من تخطيط إحدى زوجات الملك الثانويات تدعى الملكة " تي " وهي من النساء الأجنبيات اللواتي سُمح لهن بالتواجد في القصر الملكي بشكل كبير(صالح، 1980، ص 244). وأرادت من وراء ذلك قلب نظام الحكم وأن يعتلي ابنها " بنتاؤور " أو "بينتاورت "

Ahmed(جراندييه، 2003، ص 307. عدد من المؤرخين يقول "بنتاورت " وعدد آخر يقول " بنتاؤور ". ، 2008–2007، 224) العرش. والحقيقة أن هذه الملكة إمتلكت من الذكاء والدهاء حيث خططت بشكل بارع لتحقيق هدفها لدرجة أن كل الشخصيات الذين إستطاعت إقناعهم وضمهم إلى المؤامرة كانوا يحتلون مراكز مرموقة وحساسة في دائرة صنع القرار سواء في البلاط الملكي أو الجيش أو الحريم الملكي أو الكهنة حتى أنها وصلت إلى الدائرة الضيقة من الحاشية المحيطة بالملك وذلك لتخفيف حدة ردة الفعل من الموالين ومن الشعب حتى وصل عدد المتآمرين لثلاثين ، 2008–2007، 224). وكان من الحنكة Ahmedفرداً. (جراندييه، 2003، ص 310،309،308. والدقة اختيار توقيت التنفيذ بحيث يكون حشد كبير من العمال المنتظرين مخصصاتهم من سفينة الإله التي ستصل إلى طيبة للمشاركة بالعيد وذلك لتشتيت انتباه حراس البوابات وإلهائهم عن أي اضطراب ممكن أن يحدث بالإضافة إلى أن البوابة التي قرروا الدخول منها إلى القصر كانت عبارة عن باب جانبي يفتح على جناح الحريم يكون قدر الإمكان بعيداً عن عيون الحراس.(سعد الله، 2001، ص 310).

وزيادة على ذلك وإمعاناً في التخطيط الدقيق لهذه اللحظة والحرص على عدم حدوث أي خطأ صغير مهما كان حجمه يهدد أهداف المؤامرة لجأت الملكة " تي " إلى السحر الأسود حيث استطاعت استمالة وضم اثنين من كبار الكهنة إلى قائمة المتآمرين وهم " رئيس الكهنة الشعائريين " الذي كانت وظيفته تنظيم المراسم الدينية التي تقام في جميع معابد مصر والكاهن الثاني هو " رئيس كهنة الإلهة سخمت تل بسطة " اللذين كانوا يتقنون السحر الأسود وعلى درجة كبيرة من الكفاءة في مجالات السحر والطلاسم وكان لها ما أرادت، فقاموا بعمل تماثيل صغيرة من الشمع على شكل الحراس وأتلوا عليها سحرهم وأعدوا مشروبات مخدرة كان الهدف منها سحر حرس الحريم ليغطوا في نوم عميق أثناء الدخول إلى القصر.(جراندييه، 2003، ص 310،311. سعد الله، 2001، ص 310،311).

وعلى الرغم من كل الخطوات المدروسة بإتقان لتحقيق الغاية المرجوة من المؤامرة إلا أنه لم يكتب لها النجاح وانكشف أمرها وسبب فشلها هو العدد الكبير للمتآمرين حيث تهيأت فرصة

لتسريب أسرارها حتى وصلت لبعض الإداريين الذين احتفظوا بقدر من الولاء للملك وقاموا بالتبليغ عن المؤامرة وأفرادها فما كان من الملك إلا أن أمر بتشكيل محكمة بلغ عدد أعضاءها اثني عشرة قاضياً تقع على عاتقهم وعلى مسؤوليتهم الشخصية استجواب ومحاكمة المتهمين وفرض العقوبات المناسبة بحق الجرم المرتكب وذلك ماورد في " بردية تورين القضائية ". ، 2008–2007، 224). Ahmed(جراندييه، 2003، ص 313،311. سعد الله، 2001، ص 311. وهذه المحكمة تعتبر محكمة خاصة استثنائية وذلك أن المؤامرة طالت شخص الملك بذاته ففي العادة كانت المحاكم لها ترتيب معين حيث كانت تتكون من الوجهاء في كل إقليم يترأسها موظف أثناء المحاكمة وكان الوزير بنفسه يترأس هذه المحاكم في العاصمة، (باقر، 2011، ص 164). لذلك كان أفراد هذه المحكمة الخاصة من موظفين مختلفين من موظفي القصر المخلصين للملك ومحل ثقته (سعد الله، 2001، ص 311). وأعطاهم صلاحيات مطلقة من حيث إحضار المتهمين وتحديد العقوبات بحسب الجرم المقترف فكانت التعليمات على لسان الملك:

" ..... إذهبوا إليهم وأفحصوهم، والمذنب يموت
بما اقترف من ذنب، وإن كنت لا أعرف من هم .....
..... إحذروا من أن توقع العقوبة على أحد بغير وجه
حق من موظف لا يرأسه، هكذا قلت لهم (للقضاة)
وكررت القول مراراً، وأما ما تم فإنهم هم الذين قاموا به
ليقع عبء ما قاموا به على رؤوسهم، فإنني معفى ومحمي إلى
أبد الأبدين بوصفي واحد من الملوك العدول في حضرة
آمون رع ملك الآلهة، وفي حضرة أوزير حاكم الأبدية." (سعد الله، 2001، ص 312).

لهذه التعليمات دلالتان الأولى حرص الملك الشديد على إحلال العدالة بحق المتآمرين مع أن الهدف كان شخصه والثانية تدهور مكانة الملك الكبيرة لدرجة أن أقرب الناس إليه وذوو المناصب العالية وأصحاب الدائرة الضيقة المحيطة بالملك هم الذين تجرأوا على التآمر للإطاحة به. (سعد الله، 2001، ص 312). هذا الإهتمام الكبير بالعدالة كان نتيجة القسوة المتناهية في

القانون الجنائي في العقوبات فتبدأ بالتعذيب حتى كان في بعض الأحيان أن تطال الشهود أنفسهم وتنتهي بالإعدام لكن بأشكال غريبة مثل إلقاء المحكوم في بركة من الماء مليئة بالتماسيح أو يسمح للبعض بحسب مكانتهم أن يقتلوا أنفسهم بأنفسهم، كما كان هناك عقوبة تقضي ببتر الأعضاء ومن ثم الحكم بالأعمال الشاقة في معسكرات خاصة.(باقر، 2011، ص 164). وأيضاً هناك عقوبة لا تقل أهمية مما سبقها ومن الممكن أن تكون أشد ألا وهي عقوبة النسيان حيث تقع بحق من ارتكب جريمة نكراء لا يمكن غفرانها مثل المؤامرة على شخص الملك وهذه العقوبة تتم بمحي أسماء المجرمين من فوق الجدران التي نقشت عليها من قبل ويتم استبدالها بأسماء تدل على التحقير والازدراء ومن الممكن أيضاً استبدال الأسماء بأسماء أخرى تدل على غضب الآلهة عليهم، وهذه العقوبة تعد على درجة كبيرة من القسوة لأن الإنسان المصري يعمل جاهداً طوال سنين حياته من أجل إحياء اسمه في الحياة الدنيا ليضمن خلوده بعد مماته في الحياة الأخرى. (جراندييه، 2003، ص 306،307).

وكانت الإجراءات المتبعة في المحاكم أن يحضر المتهمون إلى المحكمة بحضرة المحكمين بعد اعترافهم بالجرم الذي اقترفوه وبعد تجريدهم من ألقابهم واستبدال أسمائهم الحقيقية بأسماء أخرى تتم مناقشة جرائمهم التي ارتكبوها وينال كل متهم ما يستحق من عقاب على ما اقترفت يداه من ذنب، (سعد الله، 2001، ص 313،314) وكان قرار هذه المحكمة الخاصة بالمؤامرة أن تنوعت فيها الأحكام بين الإعدام على البعض وعدد آخر من المتهمين كان يجب عليهم تنفيذ حكم الإعدام بأنفسهم لفداحة جرمهم ومنهم كانت عقوبته الجلد والسجن ومنهم من حكم عليهم بجذع الأنف وصلم الأذنين وذلك بعد عانوا وهم أحياء من عقوبة " الموت الثاني " والفناء الكلي نتيجة تسميتهم بألقاب تدل على التحقير والإهانة والمذلة (صالح، 1980، ص 243،244. جراندييه، ، 2008–2007، 224). أما Ahmed2003، ص 314،315. سعد الله، 2001، ص 311،312. مصير العقل المدبر للمؤامرة الملكة " تي " ظل مجهولاً وليس هناك أي وثيقة جاءت على ذكر مصير الملكة لأنه كان مرهون بيد الملك بشكل مطلق وذلك أن زوجات الملك وبناته كانوا يتمتعون بنفس درجة القداسة والتبجيل للملك ومن غير المسموح لأي محكمة مهما كانت أن تقوم

، 2008–Ahmedبمحاكمتهن. (جراندييه، 2003، ص 315،316. سعد الله، 2001، ص 314. 2007، 224).

أما مصير الملك " رمسيس الثالث " فهناك اختلاف بالآراء فمنهم من اعتقد أنه توفي نتيجة المؤامرة وتم تشكيل المحكمة بإشراف ابنه وخليفته على العرش الملك "رمسيس الرابع " ومنهم من قال أن الملك نجا من المؤامرة وعاش لفترة قصيرة بعدها وهو الذي أمر بتشكيل المحكمة وأعطى أوامره لأعضائها والدليل أنه نجا من الموت هو خلو مومياؤه من أية جروح عند العثور عليها في ، 2008–2007، 224). وبعدها Ahmedخبيئة الدير البحري. (سعد الله، 2001، ص 315،314. بقليل وبالتحديد في الخامس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف (الشمو) وفي العام الثاني والثلاثين من حكمه وافت المنية للملك حيث تم تصنيفه من سلسلة الملوك العظام الذين حكموا مصر لفترات طويلة تركت بصمة كبيرة في التاريخ على الصعيدين الداخلي والخارجي. (جراندييه، 2003، ص 316،317. سعد الله، 2001، ص 315،316).

خامساً: الأوضاع الداخلية بعد وفاة الملك " رمسيس الثالث "

استلم الحكم في مصر الملك "رمسيس الرابع" بعد وفاة أبيه الملك " رمسيس الثالث " الوريث الشرعي وتتابع ثمانية ملوك في الأسرة عشرين حتى الملك "رمسيس الحادي عشر " وكلهم حملوا اسم " رمسيس "، لكنهم حملوا الاسم فقط ولم يحملوا أي من صفات العظمة ورجال الحرب ، 2008–2007، 224.) وكان همهم الشاغل إقامة المقابر الضخمة تمثلاً Ahmedوالإصلاح(بمقابر الملوك الذين سبقوهم والذين كانوا على درجة من القوة والغنى ومنهم الملك " رمسيس السادس " الذي كانت مقبرته من أضخم مقابر طيبة، كان كل هذا الإسراف في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية في عهدهم وانحصار الثروة في أيدي الكهنة والطبقات العليا من المجتمع والدليل على ذلك أن فترة حكمهم كلهم كانت بين 75 و80 سنة فقط اشتركوا جميعاً بالضعف ، 2008–2007، 225.) وعدم تمكنهم من صناعة أي قرار Ahmedوبأنهم ألعوبة بيد الكهنة (لإيقاف الفوضى والانحلال في جميع مرافق الدولة وكف الظلم عن الموظفين والطبقات الفقيرة،

وكان نتيجة ذلك أن عانى فيها الشعب المصري أسوأ ظروف معيشة حيث كثرت السرقات والرشاوى وانعدام الأمان وسرقة مقابر الملوك وانتشار المجاعة، هذا كله كان على الصعيد الداخلي أما على الصعيد الخارجي ونتيجة ضعف قبضة الملوك فقد تجددت هجمات القبائل الليبية على الحدود المصرية لدرجة وصلت إلى المناطق القريبة من طيبة كما أنه ليس هناك أي دليل على احتفاظ مصر بسلطانها على أراضيها في فلسطين وسورية بعد وفاة الملك "رمسيس الثالث ". (صالح، 1980، ص 245،246. مرعي، 2005، ص 228،229. سليم، 2008، ص 90Ahmed.). سعد الله، 2001، ص 315،316. ، 2008–2007، 224)

الخاتمة والنتائج:

وفي نهاية هذا البحث يتبين لنا ضرورة دراسته لغنى هذه الفترة من تاريخ مصر بكل ما جاء فيها من أحداث سواء خارجية حيث توجب على الملك رمسيس الثالث الحروب لمدة طويلة على كل الإتجاهات حيث خاض حروب قوية مع القبائل الليبية في السنة الخامسة والسنة الحادية عشر من حكمه الذين طمعوا في العيش في الدلتا لخصوبة أرضها مما أجبره على تأجيل الأعمال التي اعتاد الملوك القيام بها في بداية سنين حكمهم والتي كان أهمها تفقد المعابد وذلك لإرضاء الآلهة من جهة، ومن جهة ثانية كان لإرساء دعائم حكمه المستمد من الآلهة. وعلى الرغم من أن السنين الخمسة الأولى من حكمه لم تتوفر معلومات كافية عنها، إلا أنه كانت عليه مهمة تمكينه من الحكم حيث أنه لم يكن هو ومن قبله أبيه وريثين شرعيين للحكم فكان إثبات حقهم بالحكم له الأولوية ومن ثم تأسيس جيش قوي الذي لم تقتصر مهمته على الدفاع عن حدود مصر وإنما كان له مهام داخلية أيضاً. وفي السنة الثامنة من حكمه كان عليه خوض حروب أقوى وأعنف مع شعوب البحر الذين كانوا على درجة كبيرة من الخطورة حيث حولوا كل الأراضي والممالك التي كانت في طريقهم إلى مصر إلى لا شيئ بحيث عانت المنطقة من فراغ سياسي لم تستطع مصر ملؤه ولا حتى مناطقها التي كانت تابعة لها في سورية. خطورة شعوب

البحر تمثلت بهدفهم الإستيطان بعد القحط الذي عانوا منه فوجدوا في الأراضي المصرية الملاذ الآمن للعيش الكريم، بذلك كان الملك أمام خيارات صعبة من أجل تأمين حدود دولته من جهة، وأحداث داخلية احتاجت جهد كبير من الملك لإعادة بناء هيكلية دولته من جديد بعد الضعف الذي دب في أوصالها في أواخر عصر الأسرة التاسعة عشرة، وأيضاً أحداث على صعيد الملك نفسه حدثت لأول مرة حيث تم تصوير الملك بأبعاده الحقيقية وإضرابات من قبل عمال دير المدينة للمطالبة بحقوقهم وقوتهم اليومي، ولم تقف الأحداث عند هذا الحد بل وصلت لدرجة أن تعرضت حياته للخطر في أواخر سنين حكمه على يد إحدى زوجاته الثانويات الأجنبيات الملكة "تي" التي حبكت مؤامرة بمنتهى الذكاء أطلق عليها مؤامرة الحريم الهدف منها أن يرث إبنها العرش بدل الوريث الشرعي.

المراجعReferences

باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)، ج2، بغداد، 2011.
سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية، العراق، إيران، آسيا الصغرى)، بيروت، 2008.
صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، 1980.
سعد الله، محمد علي، في تاريخ مصر القديمة، ج1، الإسكندرية، 2001.
جراندييه، بيير، رمسيس الثالث (قاهر شعوب البحر)، مصر، 2003.
الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، مجلد (16)، القاهرة، 2015.
مرعي، عيد سعيد، موجز تاريخ مصر القديم وحضارتها، السعودية، 2005.

Ahmed, Mahmoud Abed al-Hameed, Studies in the Pharaonic Egyptian History, Damascus University, Press 8, 2007-2008.

Aboud, Jehad, The European Invasion and the Unity of Destiny-Anatolia, The Levant and Egypt (In the Second half of the Second Millennium BC.), Damascus University Magazine, folder 36, No.4, 2020.

سياسة إبراهيم باشا المالية والاقتصادية في بلاد الشام (1831– 1841)

* إبراهيم علاء الدين ** وسام عيّاش ***رشا كميل

الملخص

لما كان محمد علي يدرك أهمية بلاد الشام الاستراتيجية والاقتصادية فقد حاول عبثاً إقناع السلطان بتقليده حكمها، لذلك أنفذ بقيادة ابنه إبراهيم باشا جيشاً قوياً، ففتح فلسطين والشام وعبَّر جبال طوروس حتى وصل كوتاهية (1832 – 1833)، وعقد صلح كوتاهية الذي توج بانتصارات الجيش المصري ونال محمد علي بموجبه حكم بلاد الشام وأضنة، ومنح ابنه إبراهيم باشا لقب محصل أضنة ،وبذلك دخلت الشام في حكم الدولة المصرية وأصبحت مصر المرجع الأعلى لحكومة الشام، وصار إبراهيم باشا حاكماً عاماً للبلاد السورية معيناً من قبل والده، وبدوره استطاع من خلال حنكته ومهارته السياسية التحكم في مفاصل الدولة الهشة في ذلك الوقت ، وانصرف إلى تنظيم البلاد ساعياً إلى تجديد أحوالها وتحديثها في جميع المجالات ومنها الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية : الدولة العثمانية – بلاد الشام – صلح كوتاهية – النظام الإقطاعي.

* الدكتور المشرف: أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية– اللاذقية – سوريا.

** الدكتور المشارك: مدرّس – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية– اللاذقية – سوريا.

*** طالبة – دراسات عليا (دكتوراه)– قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة اللاذقية – طرطوس – سوريا.
rshakmyl725@gmail.com

Ibrahim Pasha's financial and economic policies in the Levant -1831) (1841

* Ibrahim Alaeddin ** Wisam Ayyash ***Rasha Kamil

Abstract

Because Muhammad Ali was aware of the strategic and economic importance of the Levant, he tried in vain to convince the Sultan to grant him rule over it. Therefore, he dispatched a powerful army, led by his son Ibrahim Pasha, which conquered Palestine and the Levant, crossing the Taurus Mountains and reaching Kütahya (1832-1833). The Treaty of Kütahya was concluded, which culminated in victories for the Egyptian army. Muhammad Ali was granted rule over the Levant and Adana, and his son Ibrahim Pasha was granted the title of Muhsil of Adana The Levant came under the rule of the Egyptian state, and Egypt became the supreme authority for the Levantine government. Ibrahim Pasha became the general governor of Syria, appointed by his father. Through his political acumen and skill, he was able to control the fragile state at the time. He devoted himself to organizing the country, striving to renew and modernize its conditions in all fields, including the economy.

Keywords: Ottoman Empire – Levant – Treaty of Kutahya – Feudal system.

* Assistant Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Lattakia - Lattakia - Syria.

** Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Lattakia - Lattakia - Syria.

*** Student - Postgraduate Studies (PhD) - Department of History - Faculty of Arts - University of Lattakia - Tartous - Syria. rshakmyl725@gmail.com

مقدمة

طمح محمد علي في ضم بلاد الشام إلى مصر ولم يكتم نيته عن الحكومة العثمانية فإنه طلبها بعينها تعويضاً عما تكبده الجيش المصري من الخسائر في حرب الموره ولكن السلطان لم يُجبه إلى طلبه، فاعتزم أن يناله بحد السيف ورأى ضرورة ضم بلاد الشام إلى مصر، لأنها تمثل حاجز حصين بين مصر والدولة العثمانية وبها تتقي مصر شر الدولة العثمانية إذ حدثتها نفسها بغزو مصر، ولم يواجه الجيش المصري آية مقاومة عسكرية عند اجتياحه لبلاد الشام بسبب ضعف السلطة المركزية العثمانية، وتذمر الأهالي منها وتقبل أهالي بلاد الشام فكرة السيطرة المصرية عليهم خاصة بعد النجاحات الداخلية التي حققها محمد علي في المجال السياسي والاقتصادي وبخاصة في نقل مصر إلى حالة الاستقرار بعد الفوضى التي اجتازتها زمن المماليك آملين أن يحقق نفس الإصلاحات في بلادهم.

كانت بلاد الشام قبل أن يستولي عليها إبراهيم باشا مقسمة إلى أربعة ولايات كبرى هي (حلب – طرابلس – دمشق – صيدا)، وكانت القدس وغزة ويافا غير داخلة في هذا التقسيم، أما بعد استيلاء إبراهيم باشا عليها ضم كيليكيا وعكا وسائر بلاد فلسطين وحتى سيناء إلى ولاية مصر، وعمل إبراهيم باشا على تنظيم أحوال بلاد الشام وتدبير أمورها الاقتصادية وتطويرها.

إشكالية البحث:

كان هدف محمد علي باشا إنشاء دولة عربية عصرية قوية، تختلف من حيث تركيبتها البنيوية عن نموذج المؤسسة العثمانية التقليدية، فاختلفت الآراء حول تجربة محمد علي فمنهم من عدَّها مشروعاً نهضوياً أعاد لمصر دورها الريادي في المنطقة، ومنهم من رآها مشروعاً توسعياً استنزف ثروات بلاد الشام لتحقيق مآرب شخصية وتمرداً على الدولة العثمانية، فهل استطاع الحكم المصري لبلاد الشام أن يحقق إصلاحات اقتصادية تنقل البلاد إلى مرحلة اقتصادية متقدمة، وبالتالي هل كان الحكم المصري نعمة أم نقمة على بلاد الشام؟

أهمية البحث:

يتناول هذا البحث الحكم المصري لبلاد الشام خلال العشر سنوات (1831 – 1841)، وكيف سعى إبراهيم باشا خلال فترة الحكم المصري لبلاد الشام إلى بناء دولة متقدمة مستغلاً أوضاع الدولة العثمانية المتردية، وتكمن أهمية البحث في إلقاءها الضوء على هذه الفترة نظراً لأهمية تجربة الحكم المستقل الذي أنشأه محمد علي، ونرجو من خلال هذه الدراسة أن نضيف رصيداً نظرياً لذلك الموجود عن هذه الفترة.

الجديد في البحث:

المادة العلمية المتوفرة في المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها متداخلة ومتشابكة بشكل مزعج بسبب دمج عناصر الفصول مع بعضها البعض، كما أن بعضها الآخر تناول نظام الحكم المصري لبلاد الشام بشكل سرد دون اللجوء إلى تبويب المادة العلمية، ونستطيع القول أن هذا البحث سوف يصبح مرجعاً بسيطاً ومريحاً لمن يرغب بالتعرف على السياسة المالية والاقتصادية لإبراهيم باشا في بلاد الشام.

أهداف البحث:

إن الحملة التي وجهها محمد علي باشا إلى بلاد الشام بقيادة ابنه إبراهيم باشا تؤلف صفحات ذات شأن عظيم من تاريخ بلاد الشام ويجب تسليط الضوء على إنجازات الحكم المصري من الناحيتين المالية والاقتصادية.

فرضيات البحث وحدوده:

شكل العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي في الفترة الممتدة بين 1831–1841م الإطار الزمني لعنوان الدراسة. بينما شكلت بلاد الشام بكامل ولاياتها الإطار الجغرافي للبحث.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

بلاد الشام: المنطقة الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى حدود مصر في سيناء وبادية العرب جنوباً، ومن العراق شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط غرباً، وسميت بلاد الشام لكثرة قراها فشبهت بالشامات.

دراسة مرجعية:

1- عبد الرحمن الرافعي، (عصر محمد علي)، 1989، القاهرة، يقدم هذا الكتاب تغطية شاملة للتحولات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في فترة حكم محمد علي مصر، أوضح المؤلف في كتابه كيف آل الحكم إلى محمد علي، وسرد الوقائع بدقة وأمانة، وأورد بعد سردها نتائجها ورأيه فيها.

2-لطيفة محمد سالم، (الحكم المصري في الشام 1831 - 1841)،1990، القاهرة، الكتاب دراسة تاريخية معمقة ترصد فترة الحكم المصري للشام بقيادة ابنه إبراهيم باشا، وتناول الأبعاد السياسية والإدارية والاجتماعية التي أحدثها هذا الحكم ، وهو عمل أكاديمي مهم يقدم تحليلاً لفترة حساسة شهدت صعود نجم مصر وتدخلات القوى الأوروبية ، يمثل هذا الكتاب إضافة قيِّمة للدراسات التاريخية المتعلقة بالحكم المصري لبلاد الشام.

3- مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، 2007، دمشق، يتميز كتاب مذكرات تاريخية بوفرة ودقة معلوماته وانحصارها بفترة محددة جداً هي فترة توسع محمد علي باشا واحتلاله بلاد الشام ووصف الحروب والثورات الداخلية التي واجهت إبراهيم باشا قائد الحملة، وحروبه ضد الدولة العثمانية مع بيان التدخل الأوروبي في تلك الفترة والكاتب مجهول الهوية تعمد عدم ذكر اسمه خوفاً على نفسه، ولذلك جاءت لهجة الكاتب طبيعية صادقة.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على دراسة المصادر والمراجع وجمع المعلومات والتعرف على التطورات التاريخية للحكم المصري لبلاد الشام وأثره على الأوضاع الاقتصادية والسياسة المالية، ومن ثم تنسيقها واستخدامها في هذه الدراسة.

المناقشة والتحليل:

-سعى محمد علي إلى السيطرة على بلاد الشام بالقوة العسكرية لكثرة خيراتها ومواردها الاقتصادية، ولإدراكه أن امتلاكها سيجعله سيد الأقطار العربية بعد سيطرته على القدس ودمشق، وستكون مدخلاً للسيطرة على الجزيرة العربية فيما بعد فضلاً عن كونها تشكل منطقة عازلة ستحميه من السلطان إذا أراد أن يقود جيشاً للقضاء عليه.

-تتمثل الأهمية الاقتصادية لبلاد الشام أيضاً في ازدهار التجارة والزراعة بها وهذه كانت أيضاً من الدوافع غير المباشرة لتدخل محمد علي في بلاد الشام وإخضاعها لحكمه، فمن الناحية التجارية أراد محمد علي السيطرة على الطريقين المهمين للتجارة العالمية، طريق البحر الأحمر وطريق الشام.

1- الجانب المالي في عهد إبراهيم باشا:

أ- سياسة إبراهيم باشا المالية:

وفقاً للالتزامات المالية التي وضع والي مصر محمد علي[1](1769- 1849)، نفسه أمامها، كان لا بد من إدارة مالية حازمة يمكن لها أن تغطي متطلباته بكل سرعة ودقة، فأسس إبراهيم باشا هذه الإدارة وأمسك بزمامها حنا بحري[2] الذي لقب بمدير عموم حسابات ولايات بر

[1] محمد علي (1769-1849):والي مصر (1805-1849)، ولد بقولة ، جاء في حملة إلى مصر لإجلاء نابليون عنها واشترك في معركة أبي قبر البحرية (1799)، عاد إلى مصر (1801)قائداً لكتيبة وأخذ يرقى في سلم النجاح في ثبات وحذر وجاءت فرصته عندما ضاق المصريون ذرعاً بحكم خورشيد باشا وطلبوا من الباب العالي تعيين محمد علي والياً على مصر (1805). المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص214.

[2] حنا بحري : حمصي الأصل ،حضر إلى مصر مع إخوته عندما لجأ إليها يوسف كنج ، حيث كانوا من أتباعه وقد أعجب محمد علي بمقدرته ومرونته فقربه إليه واعتمد عليه. لطيفة، سالم، *الحكم المصري في الشام*، ص54.

الشام فكان بمثابة وزير المالية، وكان قد عرف بالإخلاص والوفاء والذكاء والبداهة [3] ، فكان موضع ثقة الحكومة المصرية التي كرمته ولم تبخل عليه فأعطته المكانة والهيبة والتقدير وفوضته في: "سن الأنظمة لحكومة سوريا على النمط الحديث، وامتدت المسؤولية لحنا بحري على الشام كله، وكان عليه أن يُعد الميزانية ، وأن يغطي احتياجات الجيش و يعمل على زيادة الإيرادات وفقاً لما يراه مناسباً ، وتحقيقاً لهدف الإدارة المصرية كان إبراهيم باشا [4] (1789-1848) دائم التحرك والتفتيش على مصادر الإيرادات، كما عمل على تنظيم المالية فعيَّن جرمانوس بحري على مالية حلب والذي كان له خبرة وكفاءة أخيه – حنا بحري- في أعمال الحسابات، وعيَّن بجانبه مسؤولين عن الحسابات لتحصيل الأموال الأميرية وصرف المرتبات وجميعهم تابعون رأساً إلى حنا بحري، والملاحظ أن غالبية العاملين في شؤون الحسابات كانوا مسيحيين وذلك لدرايتهم بهذا الفن، إلا أنهم لم يتمكنوا من تغطية العمل الجديد للضغط واتساع مناطق الشام ،إضافة إلى أن الكتبة الموجودين والذين عُهدت إليهم الحسابات يجهلون أصول الكتابة المصرية، كما أن درجة الكفاءة العالية لم تكن متوفرة فيهم [5]، لذلك سرى الاختلال في الحسابات وفُقدت الدقة التي تتطلبها وامتدت الأيدي إلى الرشوة ، كما أن الاختلاس توغل بين الموظفين كالمباشرين فاشتكى الأهالي من فداحة الوضع [6]، ونظراً للنظام المالي الخاص بالتحصيل المتبع في بلاد الشام والذي اختلف من ولاية لأخرى فكانت الأموال بعضها قمرية وبعضها مارسية، وحساباتها ليست على نسق واحد وكانت غير مرتبطة باعتبار أنها سنوية فيتم تحويل جديد في كل سنة، أي أن الأموال تؤخذ على قدر الأرض المزروعة في تلك السنة، وهناك بعض القرى يؤخذ قسم من المحصول باعتبار الكيل يوجد بعد حصاد المزروعات، وقُدر الفارق الزمني بشهرين فأصبح من الصعب أن تقاس أموال الشام على أموال مصر خاصة وأن الأموال الأخيرة محددة وليس فيها تناقض، وبذلك اكتنفت الإدارة المالية الصعوبات القائمة من

[3] مشاقة، ميخائيل ، *مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان* ،ص102.
[4] إبراهيم باشا: (1789- 1848)، قائد مصري وهو الابن الأكبر لمحمد علي، عينه أبوه قائداً للحملة المصرية ضد الوهابيين (1816)، وتمكن من إخماد الثورة اليونانية (1825- 1828)، وفتح فلسطين والشام وعبر جبال طوروس حتى وصل كوتاهية (1833)، إلا أن التدخل الأوروبي حرمه من مواصلة زحفه وأجبره على الجلاء. غربال، محمد شفيق، *الموسوعة العربية الميسرة*، مج 1، ص463.
[5] سالم، لطيفة، *الحكم المصري في الشام* ، ص107.
[6] أبو عز الدين ،سليمان ، *إبراهيم باشا في سوريا* ، ص139.

ناحية والضغط المتواصل الذي أقدم عليه المسؤول المالي من أجل الحصول على المزيد من الأموال لملء الخزانة، وعن الميزانية فقد جرت المساعي من أجل تحقيق السياسة المالية المرسومة في تجميع أكبر قدر من الأموال فارتفعت الإيرادات المالية.[7]

وقال الدكتور مشاقة وهو معاصر للحكم المصري في السياسة المالية للحكومة المصرية: " أرسل محمد علي تفويضاً إلى حنا البحري في سن النظامات لحكومة سوريا على النمط الحديث وكان حنا بحري على جانب من أصالة الرأي وله القدح المُعلى في السياسة المدنية، وكان العدل والإنصاف شأنه والنزاهة زمامه، ولا فرق عنده بين القوي الثري والضعيف الفقير، أو المسلم والذمي وكان يعاملهم بالقسط والعدل حسب وصية محمد علي باشا الذي كان عارفاً أن لا قيام للدولة إلا بالعدل والإنصاف".[8] وقد ذكر السيد جومار أن تعيين أحد السوريين الأكفاء في هذا المنصب الكبير دليل على رغبة إبراهيم باشا في إسناد كبار المناصب إلى أبناء البلاد وهو ما لم يكن مألوفاً في عهد الإدارة العثمانية.[9]

ب- الضرائب وسياسة الاحتكار:

شكلت الضرائب ثقلاً هاماً في مالية الدولة، إذ تمثل مورداً أساسياً في إيراداتها، ولذا وجهت العناية والاهتمام بها لزيادة دخلها وتعددت الضرائب التي فرضتها الدولة العثمانية على ولاياتها.[10]

وكانت الضرائب المفروضة بأنواعها ومقاديرها مقررة بوجه عام هي مال الميري، والجزية والرسوم الجمركية، ولم يقتصر الولاة على ذلك بل كانوا يكلفون الأفراد والجماعات بدفع إعانات مختلفة ينتحلون لابتزازها شتى الأسباب، فأوجبت دفع الأموال الميرية عن الأملاك الموقوفة، فإن الإلغاء لم يكن إلا اسمياً لأنها أضافت إلى مال الميري الأصلي جميع ما كان يبتزه الموظفون والملتزمون في الحكم العثماني، وعدا الضريبة العامة على العقار، كما كانت تجنى الضرائب على الأشجار كالتوت والزيتون وغيرها من الأشجار المثمرة، وتقدر بخمسة بالمائة دخلها في

[7] سالم، لطيفة ، *الحكم المصري في الشام*، ص108.
[8] مشاقة، ميخائيل، *مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان* ، ص 103.
[9] الرافعي. عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، ص 258.
[10] سالم. لطيفة، *الحكم المصري في الشام*، ص 110.

سنة معتدلة الإقبال، وكانوا يحسبون ذلك بأن يفرضوا بارتان[11] عن كل قرش[12] وكانت المغروسات الجديدة من هذه الأشجار تفرض عليها الضريبة من وقت غرسها ، وقبل أن يستثمره صاحبه بضع سنين وهذا ما حمل كثير من الناس على العدول عن غرس الأشجار المثمرة.[13]

وقدرت ضريبة الحرير وفقاً لإنتاج الشرانق، فأوقية البيض تعطي رطل حرير، وقد اختلف تقدير الضريبة من منطقة لأخرى[14]، ومن أهم الضرائب التي فرضها الحكم المصري على بلاد الشام:

الضريبة العشورية: ضرائب تدفع مقابل المحاصيل الزراعية مع الأخذ بعين الاعتبار مساحة الأرض المزروعة وكذلك طبيعة الأرض[15]، وتختلف باختلاف الموسم تحسناً أو سوءاً كانت تفرض على الأراضي التي تمتلكها الحكومة واستغلها المُلاك في مقابل دفع 10% من إنتاجها وقد ارتفعت إلى 15% ثم إلى 20% ، وعلى المستثمر لتلك الأرض تجهيز ما يلزمها من بذور ومواشي والآت عند جني المحصول تسدد الضريبة للحكومة وما تبقى ينصف بينه وبين الفلاحين[16].

الجزية: وهي ضريبة سنوية نقدية تفرض على رعايا الدولة العثمانية غير المسلمين مع إعفاء الأطفال والنساء والعاجزين والرهبان ويتم تحصيلها بمقتضى فرمانات من الباب العالي[17]

[11]البارة Para: الاسم العام النقد وهو في الأصل نقد معدني مضروب في عهد السلطان مراد الرابع .صابان ، سهيل ، *المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية* ، ص51.

[12] القرش: وحدة نقدية أخذها العثمانيون من الأوروبيين ، وقد بدأ ضربها في الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث ،وكانت من الذهب وكان أول سكة لها في 1108هـ ، ثم بدأ بضربها من الفضة عام 1147هـ ،ثم بدأت تتناقص عياراً ووزناً ، حتى أصبحت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أقل من نصف درهم. صابان ، سهيل ، *المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية* ، ص175.

[13] أبو عز الدين. سليمان، *ابراهيم باشا في سوريا*، ص 145.

[14] سالم. لطيفة، *الحكم المصري في الشام*، ص 113.

[15] بوميدونة ، خضرة ؛ قاسمي ، سارة ، *نظام الضرائب في الجزائر 1671-1830*،ص 14.

[16] سالم ، لطيفة ، *الحكم المصري في الشام* ، ص114.

[17] الباب العالي : مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية ،وقد أنشأه السلطان محمد الرابع ١٦٥٤م وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر الميلادي وخصوصاً في عهدي السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني . صلبان ، سهيل ، *المعجم التاريخي للمصطلحات العثمانية التاريخية* ، ص49.

‘وترسل إليه بعد جمعها للصرف على خصوصيات السلطان [18]، وتراوحت بين حوالي 15– 60 قرشاً تبعاً لثروة الفرد ولكن القائمين عليها اساؤوا وسيلة التحصيل كعادتهم وسارت الإدارة المصرية على طريقة التقسيم فأوجدت ثلاث درجات، الأعلى يدفع ثمانية وأربعون قرشاً والأوسط أربعة وعشرين قرشاً والأدنى اثنا عشرة قرشاً وخرجت التعليمات، كل إنسان تأخذوا جزيته حسب ماله، كما وضعت لها نظام بشأن جمع جزية كل طائفة على حدة وإعطاء المسددين إيصالات الاستلام وأعفي منها القساوسة والرهبان والأتباع المستخدمين من الإفرنج[19].

ضريبة الإعانة: فرضت على الموظفين أصحاب المرتبات الكبيرة التي تزيد عن خمسمائة قرشاً بمعدل مرتب شهر، والذين لديهم الإعفاء من ضريبة الفردة وتقدر بحوالي 3% من الدخل الفعلي[20] .

ضريبة النبيذ والمشروبات الروحية: بعد أن صرح بتناولها علناً في الخمارات التي أنشئت أملاً في الحصول على المال الذي كان الحكم المصري في حاجة إليه ويبحث عنه في كل مكان، وتغاضى عن التعاليم الإسلامية في هذا الشأن فكان حجرة عثرة في سبيله، على الرغم من حصر مناطق البيع المتداول في أحياء الأجانب البعيدة عن سكن المسلمين وساد الخلل في تلك الخمارات ومثل التزامها عبئاً على أصحابه كما أستاء النصارى واليهود الذين كانوا يتاجرون في الخمور بعد أن استولت الحكومة على ما لديهم منها من آلات صنعها ومواعين حفظها[21].

الضريبة حنفاً : عدا مال الميري الذي كان يستوفي نقداً كان أهالي كل ناحية يكلفون تقديم بعض ما يلزم الجيش من حاصلاتهم كالحبوب والسمن والزيت... الخ، وكانوا يكلفون بنقل هذه الحاصلات إلى أقرب شونة عسكرية من بلدتهم وكذلك فرض الحكم المصري رسم الدخولية على الحيوانات التي تدخل المدن وكان يستوفى عنها عند دخول المدينة رسم دخولية قدرها عن رأس البقر من ثلاثة عشر إلى واحد وعشرين قرشاً إذا لم يكن دخوله لأجل الذبح ومن ستين إلى سبعين قرشاً إذا كان من أجل الذبح.[22]

---

[18] عابدين ، معاذ محمد ؛ الحموري ، قاسم محمد ، *التزام الضرائب في الدولة العثمانية* ،ص4.
[19] سالم ، لطيفة ، *الحكم المصري في الشام* ، ص113.
[20] السائح ، محمد الهادي ، *الضرائب العثمانية في ولايتي طرابلس وبنغازي أثناء العهد العثماني* ، ص 11.
[21] علي بلال. هدى، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص 350.
[22] أبو عز الدين. سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص 149.

ضريبة رسم الدخولية: تقدر بين ستة ونصف حتى اثنا عشر بالمئة على البضاعة التي ترسل من مدينة لأخرى.[23]

ضريبة الفردة: هو ما فرضته حكومة محمد علي باشا على الذكور من مختلف المذاهب البالغين من العمر خمس عشرة سنة إلى ستين سنة وكانت قيمتها 12% من دخل المكلفين[24] ولهذا كان يختلف مقدارها بحسب اختلاف درجات دخل المكلفين، إنما كان لها حدان أعلى وأدنى فلا تزيد عن خمسمائة قرش على المكلف الثري ولا تنقص عن خمسة عشر قرشاً على المكلف الفقير، وقد شذت حكومة محمد علي عن هذه القاعدة سنة 1839م، حينما اضطرت إلى المال بسبب تجدد الحرب مع السلطان محمود الثاني[25]، فضاعفت مقدار الضريبة وجمعتها عن سنتين دفعة واحدة، وقد كانت الفردة من اهم مصادر الدخل لخزينة محمد علي في سورية، وكان يقوم بتقديرها وتوزيعها عن طبقات المكلفين ديوان المشورة.[26]

وفرضت ضرائب عديدة أخرى فهناك ضريبة نسبتها من 5-15% من القيمة التي فرضت على نقل الملكية وعوائل أملاك المنازل والحوانيت والمبيعات، وفرضت على كل نول حرير 300% وأيضا ضريبة حُصلت على الصناعات المحلية في شكل رسم إنتاج ، وضرائب على الصابون والملح والطباق والزيت والمنافع العامة والحيوانات والأسماك والفاكهة والطواحين[27].

وبخلاصة فإن حكومة محمد علي زادت الضرائب على السوريين زيادة فاحشة، ففي جبل الشوف وتوابعه لا غير كانت الزيادة من مال الفردة فقط 500 قرش.[28]

أما السياسة الاحتكارية التي مارسها محمد علي باشا في بلاد الشام منذ 1832م، قد أدت إلى كساد التجارة الأوروبية خاصة بعد أن فرض الباشا ضرائب جمركية عالية على الواردات

[23] بركات. داود، *البطل الفاتح ابراهيم وفتحه بلاد الشام 1832*، ص 120.
[24] العالم، أحمد محمد نوري أحمد، *الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا* ، ص466.
[25] السلطان محمود الثاني : يعد علماً من أعلام الإصلاح العثماني ، فاهتم بإدخال التعديلات والتحسينات إلى صفوف الجيش ، وقضى على الإنكسارية ، و أرسل البعثات إلى أوروبا ، ويعد أول من وضع أساس الحكومة الحديثة في الدولة العثمانية. محاميد، وائل عبد الإله، *تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ص140 .*
[26] أبو عز الدين. سليمان، *ابراهيم باشا في سوريا*، ص 146.
[27] سالم. لطيفة، *الحكم المصري في الشام*، ص 114-116.
[28] أبو عز الدين. سليمان، *ابراهيم باشا في سوريا*، ص 150.

والمنتجات الأوروبية لحماية صناعته المحلية[29] ، ولم تقف الدولة العثمانية مكتوفة الأيدي أمام تلك السياسة الاحتكارية فاتجهت لكسب الدول الأوروبية إلى صفها عن طريق عقد المزيد من المعاهدات التجارية معها، وذلك لتحقيق هدفين أولهما تحرير التجارة العثمانية في كافة ولاياتها من قيود الاحتكار والتي فرضها الباشا، وثانيها إثارة هذه الدول ضد سياسة محمد علي باشا الاحتكارية، وكانت السياسة الاحتكارية التي مارسها محمد علي باشا في الشام ضربة قوية ومعوق رئيس للامتيازات الأجنبية[30] التي تمتع بها الأجانب والتجار الأوروبيون لذلك أعلن الأوروبيون احتجاجهم على تلك الإجراءات، مما أدى إلى غضب الدول الأوروبية و دفع بريطانيا إلى إثارة الفتنة والثورات بين السواك ضد حكم محمد علي، كما دفعها إلى إبرام العديد من الاتفاقيات التجارية مع الدولة العثمانية لتكون أداة حرب ضد محمد علي مع الدولة العثمانية[31].

2- إصلاحات محمد علي الاقتصادية:

1- الزراعة:

كانت معظم الأراضي الزراعية في عهد الدولة العثمانية تعد إما ملكاً للإقطاعي[32] وإما ملكاً السلطان وقسماً منها ملكاً للأوقاف، وقد أهملت مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة بسبب عدم اهتمام الجهات المالكة لها باستثمارها فتحولت لأرض بور[33] وحتى ختام الحكم العثماني كان نظام الري بدائياً يعتمد على مياه الأمطار ورغم ذلك مكثت الزراعة المورد الرئيس لثلاثة أرباع السكان ولم تنشط محاولات إصلاحها إلا في عهد إبراهيم باشا إبان الحكم المصري

[29] مؤرخ مجهول، *مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا في سوريا*، ص105..

[30] الامتيازات الأجنبية: هي الحقوق والامتيازات التي منحها السلاطين العثمانيين للدول الأجنبية ورعاياها على أراضي الدولة العثمانية، أو تلك التي حصل عليها الأجانب نتيجة الضغوطات السياسية والاقتصادية على الدولة العثمانية، وأول امتياز أجنبي كان في عهد السلطان سليم الأول سنة 1517م، عندما منح رعايا البندقية امتيازات تجارية وقضائية. صابان، سهيل، *المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص*36.

[31] العربيات، غالب عبد أحمد، *بلاد الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية*، ص22.

[32] النظام الإقطاعي: نظام اجتماعي سياسي اقتصادي ظهر في أوروبا في القرون الوسطى، يرتكز على حكم سادة الأراضي (النبلاء) أصحاب الإقطاعات. الكيالي، عبد الوهاب، *الموسوعة*، ص546.

[33] حتي، فيليب، *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*، 320.

الذي وطد الأمن ووطن البدو وألغى التمايز الطبقي في الحقوق والواجبات بين الإقطاعيين والفلاحين [34]،حيث امتاز إبراهيم باشا بحبه للزراعة فإنه ما التمس الراحة من الحروب التي عهدت إليه قيادة الجيوش فيها حتى كان همه الوحيد العمل بالزراعة دون غيرها وتشجيعه من يهتمون بها [35]،حتى شهدت السياسة الزراعية في عهده تنظيماً زراعياً متقدماً فألغت النظام الإقطاعي، و أعلنت المساواة بين جميع الطوائف، وأعادت إعمار بعض القرى واستصلحت الأراضي الزراعية، وكان لذلك كله أثر كبير في تنمية الزراعة في بلاد الشام في بداية الحكم المصري [36]، وعمم إبراهيم باشا تربية دودة القز لصناعة الحرير، وأكثر من غرس أشجار الزيتون وزراعة الكرمة[37]، وشجع زراعة قصب السكر والبطاطا وبذل مجهودات لزراعة البن[38] ومن أجل إيقاف التدهور الزراعي حرم الابتزازات الإقطاعية التعسفية [39]وعفا الأرض البكر المحروثة من دفع أي كان من المال لمدة طويلة وأحل البدو في الأراضي المهجورة ودفعهم إلى حياة الاستقرار فاتسعت مساحة الأراضي المزروعة[40]، إلا أنه فرض ضرائب على العديد من الأنشطة الجديدة ليوفر المال اللازم لمشروعاته كما اتبع في بلاد الشام ذات نظام الاحتكار الذي طبقه والده في مصر[41]، حيث شملت المنتجات ذات الأهمية التجارية في الأسواق العالمية كالحرير والقطن والقمح والعنب والزيتون فأدت سياسة الاحتكار إلى كساد التجارة الأوروبية خاصة بعد أن فرض الباشا ضرائب جمركية عالية على الواردات الأوروبية لحماية

[34] لونغريغ، ستيفن همسلي، *تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي*، 47.
[35] كلوت بك، *لمحة عامة إلى مصر*، 79.
[36] الحسني، علي، *تاريخ سوريا الاقتصادي*، 162.
[37]ذكر المؤرخ الفرنسي المسيو لويس بلان في كتابه تاريخ عشر سنوات ذلك حيث قال: " إذا أردنا أن نعرف ما أفادته سورية من انتقالها من الحكم العثماني إلى الحكم المصري فما علينا إلا أن نلقي نظرة على سهول أنطاكية التي اكتست بأشجار الزيتون وضواحي بيروت التي كثر فيها الكروم والنشاط الذي انبعث في حلب ودمشق". الرافعي، عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، 262.
[38] بركات، داوود، *البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832*، 189.
[39] ذكر المؤرخ محمد كرد علي في كتابه خطط الشام أن الحكم المصري حقق عدداً من الإصلاحات الإيجابية التي بقيت محل تقدير من قبل السكان ويؤكد هذه الحقيقة قائلاً:" كانت حسنات حكومة محمد علي في الشام أكثر من سيئاتها ووضعت أصولها الإدارة والجباية ورفعت أيدي الإقطاعات وأعطتهم من الخزانة رواتب تكفيهم ". علي، محمد كرد، *خطط الشام*، ج3، 96.
[40] لوتسكي، *تاريخ الأقطار العربية الحديث*، 133.
[41] الجمل، شوقي؛ إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، *تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر*، 179.

الاقتصاد المحلي [42]، وعلى الرغم من فرضه الضرائب وتطبيقه سياسة الاحتكار فالحق يقال أن الحكم المصري تمكن في زمن قصير أن يعيد إلى بلاد الشام النظام والاستقرار بوجه عام وكان يمكن أن يظل بإدارته المنظمة وتسامحه مصدر خير البلاد [43].

2– الصناعة:

شكل الحكم المصري بداية مرحلة تاريخية جديدة، تميزت بتوثيقها الصلة بمراكز الرساميل العالمية، حيث دخلت الإصلاحات التي قامت بها حكومة محمد علي في مصر وبلاد الشام، عمق التطور الاقتصادي والاجتماعي وبات من الصعب تجاهلها، أو النكوص إلى المرحلة التي سبقتها، فأدخلت آلات حديثة في نمو الإنتاج [44] فأنشأ معملاً لنسج الصوف ومعاصر لزيت الزيتون، وأحضر الآلات من فرنسا والعدد، واستخدم محمد علي علماء المعادن للبحث عنها في أراضي بلاد الشام، فوكل إلى المهندسين الفرنسيين بالبحث عن الرخام وأمثاله ،وإلى بريطانيا البحث عن الفحم الحجري في لبنان وفلسطين، وإلى النمسا البحث عن الرصاص والفضة والنحاس والذهب والحديد، وزادت التجارة وأخذت بالنمو، و أصبحت دمشق مركز تجارة الشرق، وحلب تجارة الأناضول والفرات، فكان إبراهيم باشا يود أن يعيد لأنطاكية مجدها القديم لأنها كانت عاصمة الشرق عندما كانت روما عاصمة الغرب [45]، على أن أهم الصناعات التي اهتمت بها الحكومة المصرية في بلاد الشام هي صناعة الحرير، وبلغ درجة اهتمام مصر بها أنها استوردت بعض دود القز من فرنسا وإيطاليا وأعدت له الأماكن الخاصة التي تبعده عن تقلبات الطقس، وانشأ مصانع الغزل و النسيج في عكا، وتم إرسال بعض الصناع إلى مصر لتعلم صناعة الجوخ والطرابيش وانشأ مصانع المنسوجات الصوفية والقطنية ومدابغ للجلود كما نشطت صناعة الصابون وسروج الخيل والسيوف وصناعة النبيذ والدخان وكان الهدف الذي تسعى إليه حكومة محمد علي في بلاد الشام تحقيق الاستقلال الاقتصادي وإحلال الصناعات المحلية محل الصناعات الأجنبية إلا أن الصناع عانوا من ضعف الأجور وأثَّر نظام التجنيد

[42] العربيات، غالب أحمد؛ الشبول، هاني أحمد طالب، *بلاد الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية (1831-1841)*، ص21.

[43] طربين، أحمد، *تاريخ المشرق العربي المعاصر*، 339.

[44] ضاهر، مسعود، *الدولة والمجتمع في المشرق العربي*، 148.

[45] بركات، داوود، *البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832* ، 137.

الإجباري على الإنتاج لنقص الأيدي العاملة، كما عانوا من استخدام الحكومة لهم في بناء المنشآت العسكرية وتقطيع الأشجار وتجهيز الأخشاب والعمل في المناجم فكان لذلك أثره السلبي على الصناعة [46].

3- التجارة :

حاول محمد علي أن يصنع في الولايات الشامية ما صنعه في مصر بأن يقيم سلطة تصرف الناس عما درجوا عليه من تناهب الأموال [47]، وبدأت الحكومة بالتدخل في شؤون المواصلات والاحتساب وازدادت دقة وحزم في تنفيذ قرارتها وسيطرت بشكل فعال على التجارة الداخلية والخارجية [48]، فحصر الجمارك بيد السلطة الحاكمة وتحديدها بدقة كان له الأثر على تنشيط التجارة الداخلية والترانزيت [49]، وقد ساهم الحكم المصري لبلاد الشام في تطوير العلاقات الشامية – المصرية، حيث نشطت حركة الانتقال بين بلاد الشام ومصر ونشطت الحركة الاقتصادية والتبادل التجاري بينهما، وصدرت العديد من المنتوجات الشامية إلى مصر كالصابون والزيتون والفحم والجلود، كما نشطت حركة استيراد بلاد الشام لبعض السلع المصرية كالزجاج والأرز [50]، وبحكم طبيعة الموقع الجغرافي لبلاد الشام فقد كانت مركزاً تجارياً منذ القدم إذ كانت أداة اتصال بين الشرق والغرب فمنتجات آسيا تصل عن طريق القوافل إلى مدن وموانئ الشام ومنها تُنقل إلى أوروبا فاتسعت التجارة بين أوروبا والشام بنوعيها الاستيراد والتصدير وخاصة بريطانيا [51]، وشكل وجود حكومة محمد علي في بلاد الشام خطراً يهدد تجارة الهند البريطانية، فكان إبراهيم باشا يعوق مساعي بريطانيا في الاستيلاء على العراق والملاحة في الفرات في طريقهم إلى الهند، إذ كانت بلاد الشام في قبضته في نفس الوقت الذي بدأت فيه

[46] سالم، لطيفة محمد، *الحكم المصري في الشام (1830-1840)*، 155.
[47] غربال، محمد شفيق، محمد *علي الكبير*، 96.
[48] غرايبة، عبد الكريم، *سوريا في القرن التاسع عشر*، 57.
[49] مؤلف مجهول ، *مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا* ،17.
[50] درويش، ماهر محمد، *هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين*، 180.
[51] سالم، لطيفة محمد، *الحكم المصري في الشام (1830-1840)*، 180.

بريطانيا بإرسال البعثات لاختبار مياه نهر الفرات للملاحة [52]، وقد شكل الاحتكار الذي مارسه إبراهيم باشا في بلاد الشام قيداً على مجمل النشاط التجاري للأجانب وخرقاً للامتيازات التجارية التي منحتها الدولة العثمانية للأوروبيين، مما دفع بريطانيا إلى إثارة الفتن و الثورات ضد حكم محمد علي[53]، وبذلك خلق الحكم المصري الهوة للتدخل الأجنبي خاصة بريطانيا وأخذت تبث الدسائس وتحرض العناصر الكارهة للحكم المصري هادفة من وراء ذلك القضاء على الاحتكار والحصول على حق التجارة فوقفت في وجه طموحات محمد علي [54]، فالحكم المصري لبلاد الشام كان له الفضل في نشر لواء الحضارة والتطور[55] إلا أن الدسائس الأجنبية وخاصة بريطانيا هي التي خلقت العراقيل أمام الإدارة المصرية في بلاد الشام ولولا تلك الدسائس لسعدت بلاد الشام بالحكم المصري وإصلاحاته لكن المطامع الاستعمارية أحاطت مصر بالدسائس والفتن وهذه الدسائس والفتن اعترضت مصر في طريق تقدمها وناهضتها في بلاد الشام[56] وقد وصف إبراهيم باشا مخاطر السياسة الأوروبية فصرح قائلاً:" إذا لم تتفق الدول الكبرى على اقتسام البلاد الإسلامية حفاظاً على مصالحها فإنها على استعداد دائم للإتفاق على التضحية بوالي مصر وعلى إبقاء السلطنة في طور الرجل المريض" [57].

نتائج البحث:

-وجدت الزراعة بالغ الاهتمام من الحكم المصري فأعيد تشكيلها بعد أن أسقط النظام الإقطاعي ووزعت الأراضي وفقاً لتنظيمات جديدة ومع توفر عوامل الإنتاج نجحت السياسة الزراعية وأسهم في تقدمها الفلاحون الذين تغيرت ظروف حياتهم وبناء على تشجيع الحكم الجديد لهم ودعمه، أما الصناعة والتجارة فقد مثل الأجانب دورا كبيراً فيها وسيطروا على جزء

[52] مؤنس، حسين، *الشرق الإسلامي في العصر الحديث*، 134.

[53] العربيات، غالب؛ الشبول، هاني، *بلاد الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية (1831-1841)*، 22.

[54] قرق، نوره؛ بوتوقوماس، حفيظة، *فرنسا والفتنة الطائفية في بلاد الشام (1831-1860)*، 24.

[55] كتب ميخائيل مشاقة في كتابه مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان أن:" أعمال الدولة المصرية في سوريا ومآثرها التي تذكر فتشكر عليها كثيرة منها العدل والمساواة وإعطاء كل ذي حق حقه وعلى أحدث طريقة جارية عليها الدول المتمدنة ورغم من إحداثهم على الرعية ضرائب عدة فأنهم نفعوا السوريين نفعاً عظيماً ".

[56] الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد *علي*، 308.

[57] ضاهر، مسعود، *الدولة والمجتمع في المشرق العربي*، 18.

كبير منها وأقدمت الإدارة المصرية على الحد من تسلطهم في الوقت الذي أوجدت التسهيلات للعمل على نشاط الحركة التجارية وانعكس النشاط التجاري الخارجي على التجارة الداخلية.

–نجح إبراهيم باشا بإجراء تغييرات واسعة في البنية الاقتصادية فقد حدد مقدار الضرائب وأوقف الابتزازات الإقطاعية، وألغى الضرائب على الأراضي البكر في زراعتها، ووطن البدو، وقضى على قطاع الطرق واسترجع المكانة الرسمية للجمارك وحدد الرسوم بدقة، وهكذا قاد ارتباط مصر وبلاد الشام المبكر بالمشروع التحديثي على النمط الأوروبي الى تبلور مراكز تبعية مشرقية لسوق الرأسمالية العالمية، فوجدت مصر موقعها في تلك السوق بإنتاج الأرز والقطن، في حين وجدت جبل لبنان ذلك الموقع بإنتاج الحرير، وفلسطين بإنتاج الليمون والحمضيات، واللاذقية بإنتاج التبغ، وحوران بإنتاج الحبوب، فبات التخصص الإنتاجي في المشرق العربي شديد الوضوح في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فكادت الأمور أن تستقر لمحمد علي في بلاد الشام ولكنه أجهض على هذا الاستقرار بإصداره الأوامر إلى ابنه إبراهيم باشا بتطبيق نظام التجنيد وفرض الضرائب وتطبيق نظام الاحتكار.

الخاتمة

مما لا شك فيه أن الموارد الاقتصادية لها ثقلها وتشكل الدعامة الأساسية في كيان الدولة، وعاشت مصر وبلاد الشام في طبيعة متشابهة ، وبناء على نظرية محمد علي الخاصة بالنهوض بالزراعة ومن خلال تجربته المثمرة في مصر، كان التطبيق على بلاد الشام وأتت النتائج أكلها واتبع نفس الأسلوب مع الصناعة وأن لم يلق نجاحاً باهراً، إلا أن النهضة الصناعية أثبتت وجودها، كما شهدت التجارة الداخلية والخارجية تطوراً وازدهاراً، وفي ضوء ذلك يمكن القول أن محمد علي نجح في بناء دولة كان لها مؤسساتها السياسية وخططها للمستقبل مما أتاح له تنفيذ برامجه الإصلاحية في المجال الاقتصادي وعمل على تطوير آلياته على النمط الأوروبي، فكانت حكومة محمد علي في بلاد الشام رغماً من كثرة شوائبها فاتحة عصر جدي انقلبت فيه طرق الحكم من الفوضى الى النظام ونثرت بذور النهضة والتقدم.

المصادر:

1- المحامي، فريد محمد، 2012، *تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط2*، هنداوي، بيروت.

2- كلوت بك، 2012، *لمحة عامة إلى مصر*. مطبعة دار الكتب القديمة، القاهرة.

3- مشاقة، ميخائيل، 1908، *مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان (1799- 1888)*، دار بيبليون، مصر.

4- مؤلف مجهول، 1980 تحقيق أحمد غسان، *مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا*. دار قتيبة، دمشق.

5- لونغريغ، ستيفن همسلي،2013، *تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي*. دار الحقيقة، بيروت.

المراجع

1- أبو عز الدين. سليمان، 1929م، *إبراهيم باشا في سوريا*، بيروت.

2- بركات، داوود،2012، *البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام 1832*. هنداوي، القاهرة.

3- بوميدونة؛ خضرة –قاسمي، سارة، 2008، *نظام الضرائب في الجزائر (1671-1830)*، جامعة غرادية، الجزائر.

4- الجمل، شوقي؛ إبراهيم، عبد الله عبد الرزاق، 1997، *تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر*. دار الثقافة، القاهرة.

5- حتي، فيليب، 1983، *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*. دار الثقافة، بيروت.

6- الحسني، علي، 1923، *تاريخ سوريا الاقتصادي*. مطبعة بدائع الفنون، دمشق.

7- درويش، ماهر محمد، 2003، *هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين*، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية.

8- الرافعي، عبد الرحمن، 1989، *عصر محمد علي*. ط5، دار المعارف، القاهرة.

9- السائح، محمد الهادي،2019، *الضرائب العثمانية أثناء العهد العثماني*، مجلة القرطاس، العدد (5).

10- سالم، لطيفة محمد، 1990، *الحكم المصري في الشام*. ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة.

11-صابان، سهيل، 2000، *المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية*، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

12-ضاهر، مسعود،1991، *الدولة والمجتمع في المشرق العربي (1840- 1990)*. دار الآداب، بيروت.

13-طربين، أحمد 1986، *تاريخ المشرق العربي المعاصر*. المطبعة الجديدة، دمشق.

14- عابدين، معاذ محمد؛ الحموري، قاسم محمد، 2016، التزام الضرائب في الدولة العثمانية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد الإسلامي، العدد (3).

15- العالم، أحمد محمد نوري أحمد، 2018، *الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا 1805-1848*، مجلة آداب الرافدين، العدد (73)، الموصل.

16- علي بلال، هدى، 2011، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، جامعة الموصل، مجلة الأبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد1، عدد (4).

17- علي، محمد كرد، 1925، *خطط الشام*. مطبعة الترقي، دمشق.

18- العربيات، غالب أحمد؛ الشبول، هاني احمد طالب، د.ت، *بلاد الشام بين محمد علي باشا والدولة العثمانية (1831- 1841)*، جامعة البلقاء، الأردن.

19- غرايبة، عبد الكريم، 1962، *سورية في القرن التاسع عشر*. معهد الدراسات العربية العالمية، دار الجيل، جامعة الدول العربية.

20- غربال، محمد شفيق، 2012، *محمد علي الكبير*. هنداوي، مصر.

21- غربال، محمد شفيق، 1987، *الموسوعة العربية الميسرة*، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

22- فرق، نورة؛ بوتوقوماس، حفيظة، 2016، *فرنسا والفتنة الطائفية في بلاد الشام (1831-1860)*، رسالة ماجستير، جامعة يحي فارس بالمدية.

23- الكيالي، عبد الوهاب، 2007، *الموسوعة السياسية، ج4*، دار الهدى، بيروت، لبنان.

24- لوتسكي، 1985، *تاريخ الأقطار العربية الحديث*. ط8، دار الفارابي، بيروت.

25- محاميد، وائل عبد الإله ،2008، *تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ط2*، القدس، فلسطين.

26- مؤنس، حسين، 1938، *الشرق الإسلامي في العصر الحديث*. كلية الآداب، القاهرة.

الموقف العراقي من تأثير الأحداث السياسية العربية على الأوضاع في لبنان

1970-1974

الطالبة: الين علي حمدان _ قسم التاريخ _ كلية الأداب_ جامعة اللاذقية.

إشراف الدكتور: ابراهيم علاء الدين.

ملخص

يتحدث البحث بالمجمل عن الأوضاع السياسية السائدة على الساحة العربية خلال الفترة الممتدة مابين 1970-1974، وهي في الحقيقة على مستوى كبير من الأهمية من حيث تأثيرها على ما جاورها من الدول ولا سيما لبنان، لذا ركز البحث خلال تلك الفترة على حدثين هامين كان أولهما هو أيلول الأسود في الأردن وما رافقه من أحداث دامية بين الفلسطينيين والقوات الأردنية ، يعرض البحث أيضاً نتائج ذلك الصراع من حيث تأثيره على لبنان وانتقال مركز المقاومة إليه وما تخلله من توتر في الأوضاع داخل لبنان بسبب اختلاف وجهات النظر مابين مؤيد ومعارض للوجود الفلسطيني ، ركز البحث أيضاً على الموقف العراقي من كل تلك الأحداث مشدداً على وقوفه إلى جانب الفلسطينيين مهما كان الأمر.

وبالانتقال إلى البند الثاني فقد وضح البحث مدى تأثير أحداث حرب تشرين على الأوضاع في لبنان ، لذا يعرض البحث المراحل التي دخلت فيها لبنان الحرب ، حيث لم يكن للبنان نية في الدخول بشكل مباشر في الحرب، لكن ولسبب أو لأخر دخلت الحرب وأصبح لبنان في خضم المعركة ، كما لا يمكن إغفال الدور العراقي الهام وموقفه من تأثير الحرب على لبنان بشكل عام .

الكلمات المفتاحية : أيلول الأسود، المقاومة الفلسطينية، حرب تشرين، الكيان الصهيوني، حزب الكتائب

The Iraqi position on the impact of Arab political events on the situation in Lebanon. 1970-1974.

Phd Candidate: Alen Ali Hemdan -Department Of History - Faculty Of Arts And Humanities - Latakia University

Supervisors: Dr. Ibrahim alaa Alden.

Abstract

The research, therefore, focused on two important events, the first of which was Black September in Jordan and the accompanying bloody events between Palestinians and Jordanian forces. The research also presents the results of that conflict in terms of its impact on Lebanon and the transition of the center of resistance to it and the tension in the situation Inside Lebanon due to the differing views of supporters Opposing the Palestinian presence, the research also focused on the Iraqi position on all these events, stressing that it stands by the Palestinians.whatever the matter.

The paper describes the phases in whichh Lebanon entered the war, in which Lebanon had no intention of directly entering the war, but for one reason or another the war entered and Lebanon became in the midst of the battle.

Keywords: Black September, PalestinIan resistance, Tishreen war, Zionist entity, Phalangist party

المقدمة:

أفرزت حرب عام(1967) نتائج عظمى أثرت بعمق على منطقتنا العربية بشكل عام ، وهذه التأثرات كانت بمجملها سلبية وكارثية، لذا كان أثر تلك الحرب وخصوصاً على بلاد الشام عظيم جداً ، ونخص بالذكر فلسطين وما أحدثه الكيان الصهيوني من أفعال كان وقعها سيئ على الشعب الفلسطيني ، فكان من جملة هذه الأعمال هو ما قام به الكيان من تهجير وتشريد وقتل وتخريب بحق الشعب الفلسطيني ، ومن هذا المنطلق يمكن عد ما حدث لاحقاً في المنطقة العربية يبدأ من هنا ، فقد تم تهجير الفلسطينيين إلى الأردن ومن هنا اتخذ الفدائيين الفلسطينيين هذا البلد مركزاً لعملياتهم ضد الكيان الصهيوني، كما أنها حاولت التوغل في سلطتها في الأردن مما تسبب في حدوث اشتباكات بين الطرفين ،لذا ونتيجة ذلك تم طردهم من الأردن ليجدوا في لبنان الملجأ والبديل لعملياتهم وهذا أقحمهم في مشاكل مع الحكومة اللبنانية ، حاول العراق تهدئة الوضع بين البلدين من خلال عدة محادثات ولقاءات مع الحكومة اللبنانية ، ولا سيما أن العراق كان موقفه

داعماً للمقاومة الفلسطينية منذ البداية ، أما الأثر الأخر هو حرب تشرين من أجل تعويض خسارة حرب عام(1967)، لذا كان من آثار تلك الحرب إن أقحم لبنان نفسه في الحرب ، وليكون للعراق دوره الفعال أيضاً في هذه المرحلة من دعم للقوات العربية بشكل عام واللبنانية بشكل خاص ، لذا ركز البحث على فترة خطيرة وهامة كان لها أثرها بشكل مباشر على الداخل اللبناني مع تبيان الدور العراقي من تأثير تلك الأحداث.

أهمية البحث وأسئلته :

التعرف على الأوضاع السياسية التي كانت قائمة في المنطقة العربية خلال فترة الدراسة والتعرف على أحداثها ومجرياتها وانعكاسها على الداخل اللبناني بشكل عام ، مع وبيان الدور العراقي ومدى تأثيره ووقوفه إلى جانب الحكومة اللبنانية والفلسطينيين بشكل خاص.

فيما يطرح البحث عدة تساؤلات لا بد من الإجابة عنها خلال البحث ألا وهي :

1_هل فعلاً كان للأحداث التي حدثت في المنطقة العربية أثرها العميق على الداخل اللبناني لدرجة زعزعة الوضع الأمني داخل لبنان؟

2–هل كان للبنان رغبة حقيقية في استقبال الفلسطينيين بعد طردهم من الأردن؟ وهل كانت جميع فئات الشعب اللبناني مؤيدة لدخول القوات الفلسطينية الأراضي اللبنانية ؟

3–هل كان للحكومة العراقية نية صافية وحقيقية من مساعدة الحكومة اللبنانية ؟ أم أن كان لها غايات خفية من وراء الدعم الواضح لها؟

حدود البحث:

تمثلت الحدود الزمانية للبحث في الحديث عن أهم الأحداث والتطورات السياسية في المنطقة العربية والتي تأثر بها لبنان بشكل مباشر وموقف العراق منها وخاصة الفترة الممتدة من عام(1970– 1974)، أما الحدود المكانية للبحث فإنه يشمل كل من الأراضي اللبنانية بشكل خاص لطالما ذكر لبنان أنه محور البحث.

مصطلحات البحث:

الفدائيين الفلسطينيين: يُطلق على المقاتلين الفلسطينيين الذين يرفضون الاحتلال ويخوضون الصراع المسلح، خاصة في منتصف القرن العشرين، ويمثلون فكرة التضحية بالنفس من أجل الوطن، وكانوا يقومون بعمليات عابرة للحدود ضد أهداف إسرائيلية، مستلهمين من حركات مقاومة عالمية، يعدهم الكثيرون رمزًا للمقاومة ضد الظلم، وإن كان المصطلح قد تطور ليشمل سياقات مختلفة من المقاومة المسلحة.

القوى الصهيونية: يشير إلى تيارات سياسية واجتماعية، غالبًا ما تُستخدم لوصف مجموعات تنتمي إلى الحركة الصهيونية التي تسعى لتحقيق أهداف سياسية قومية لليهود، وتحديدًا إقامة دولة لهم في فلسطين، وغالباً ما يصف الإعلام والقادة العرب إسرائيل بـ "الكيان الصهيوني" للتعبير عن رفضهم لشرعيتها ووجودها كدولة، ويُفهم المصطلح على أنه إدانة لفكرة الدولة اليهودية

الأوضاع السياسية: وهي مجموعة العوامل والظروف التي تؤثر على بقعة جغرافية ما (مجتمع أو دولة) ، ولها أيضا" نظام سياسي وقوانين وأنظمة.

الدراسات السابقة :

1–كتاب تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي (1958– 1975) للمؤلفة ليلى رعد وهو كتاب يعالج ما ألت إليه التسويات التقليدية للميثاق الوطني عام 1943 ويبرز أيضا المشكلات التي عانت منها الصيغة الطائفية بعد تداخل المسألة الوطنية مع المسألة القومية من خلال أتفاق القاهرة ،

ويناقش أيضا" تطور بنى الاقتصاد اللبناني ، كما يركز الكتاب على دور قطاع الخدمات لما حل بها من سمات كارثية ، حيث كان لها دور كبير في انفجار الحرب الأهلية اللبنانية عام(1975).

2–اطروحة دكتوراه للباحث محمد الهيتي وهي بعنوان موقف العراق من الأحداث السياسية العربية (1968–1979): اشتملت الدراسة على أربعة فصول خص الباحث في كل فصل موقف العراق من الأحداث السياسية العربية خلال مدة زمنية معينة، لذا كانت هذه الأطروحة مرجعاً خصباً أغنى بحثي.

3–معجم الشرق الأوسط للمؤلف سعد سعدي : يعرض المؤلف في هذ المعجم مواضيع متعددة تخص المنطقة العربية سواء بأحداث سياسية أو تعريف للشخصيات السياسية البارزة ، واستند في ذلك إلى تصنيف المواد على النظام الألفبائي المستخدم في المعاجم العربية .

4–الموسوعة السياسية للمؤلف عبد الوهاب الكيالي : وهي موسوعة مؤلفة من عدد من الأجزاء ، استخدم المؤلف أيضا" نظام الألفبائي في تعريف الشخصيات والأحداث المهمة وذلك بهدف إيصال المعلومات للقارئ بطريقة سلسة وبسيطة .

منهجية البحث :

تم اعتماد منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المتوفرة ، ثم اعتماد المنهج الوصفي والتحليلي للوقائع والأحداث السياسية في المنطقة العربية ، ثم عرض النتائج ومقارنتها بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية الواضحة والصحيحة ، وذلك لتقديم صورة واضحة عن مجمل الأحداث السياسية التي كان لها تأثير واضح على الساحة اللبنانية مع تبيان الدور الفعلي والحقيقي للحكومة العراقية.

المناقشة :

أولا" _ انعكاس أحداث أيلول الأسود على الوضع في لبنان(1970-1971) :

كان من نتائج حرب عام(1967)وما حل بالجيوش العربية من خسائر فادحة ،إن سعت التنظيمات الفلسطينية بأقصى ما تستطيع لنفض غبار الهزيمة واستعادة الحقوق المسلوبة منها، لذا عمدت إلى جمع ما يمكنها جمعه من أسلحة خلفتها الجيوش العربية المنهزمة [1].

وتتبعا" لما سبق فقد كان من جملة الهزائم التي تكبدتها الجيوش العربية هي فقدان الأردن السيطرة على الضفة الغربية لصالح الكيان الصهيوني عام (1967)، ونتيجة لذلك نقل الفدائيين الفلسطينيين قواعدهم إلى الأردن ، ومن هناك أي الأردن أخذوا في التصعيد من هجماتهم على الكيان الصهيوني والأراضي المحتلة. وهنا يمكن القول أن المنظمات الفلسطينية تبنت الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني [2].

ومن هذا المنطلق عملت المنظمات الفلسطينية على تثبيت وجودها في الأردن، فأصبح لها مؤسساتها العسكرية والمدنية، ومع مرور الوقت أدى ذلك إلى ازدواجية في السلطة حتى بدت وكأنها السلطة الفعلية في الدولة، وهذا دفع الحكومة الأردنية للقيام بعدة محاولات لتقييد أفعال الفلسطينيين وإعادة السلطة الفعلية للحكومة الأردنية[3].

[1]- منظمة الطليعة العربية1995_ : أيلول الأسود (النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية)، منشورات الطليعة، تونس، ص2.

[2]- المنظمات الفلسطينية في الأردن بلغ عددها بين عامي1967-1970 حوالي13 منظمة ولكل منظمة أهداف تختلف عن الأخرى وبتبعية وتدريب وتمويل وغيرها فكان من أهم تلك المنظمات هي حركة فتح، المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين، جبهة التحرير العربية، وقد بلغ تعداد هذه القوات حوالي 60 الف مقاتل . الشناق. عبد المجيد2014: _ التاريخ السياسي للعلاقات الأردنية السورية منذ الاستقلال حتى عام1976، مجلة الجامعة الأردنية ، مج41، ص462.

[3]- الجعافرة. إخلاص سليمان2011: _ العلاقات السياسية العراقية السعودية بين عامي 1958-1990، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ص81-82.

والذي زاد من حدة التوتر بين الطرفين هو قبول الأردن لمشروع روجرز[4]، والذي على أثره صعدت المقاومة من عملياتها غير آبها بالحكومة الأردنية ، فكان من نتائج ذلك انفجار الوضع واتخاذه منحى آخر[5].

يضاف لذلك سبب آخر وهو اعتقاد الفدائيين أن ذلك المشروع هو يعد خطة لتصفية قضيتهم، لذا رفضت كل المنظمات ذلك المشروع وعلى وجه الخصوص حركة فتح[6] ، ففي أيلول عام (1970) شكل النظام الأردني حكومة عسكرية ضمت عدد من الضباط الأردنيين ، وكان ذلك التشكيل بمثابة رسالة واضحة وصريحة من الملك حسين [7]، بأن الوقت قد حان لوضع حد للوجود

[4]]– مشروع روجرز: وهو مشروع قدمته الولايات المتحدة الأمريكية من قبل وزير خارجيتها، وهو يستهدف تشجيع العرب على القبول بسلام دائم ويقوم على اتفاقية، أيضا" يهدف على إيقاف الفدائيين الفلسطينيين لعملياتهم في غور الأردن والموجهة ضد الكيان الصهيوني. هيكل. محمد حسين1975: الطريق إلى رمضان، دار النهار ، بيروت ، ص87.

[5]]– أبو هلال. محمود عادل: _ تطور العلاقات اللبنانية الفلسطينية 1948–1975، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ، غزة ، 2006، ص177.

[6]] _[حركة فتح: نشأت عام 1955، كان ياسر عرفات هو الناطق الرسمي لها عام1958، شاركت تلك الحركة في المقاومة الفلسطينية وفي عدة معارك منها حرب عام1967، وأيلول الأسود عام 1970، وفي صفوفها عدد كبير من المقاتلين ،ولها مئات السجناء و الشهداء . الكيالي . عبد الوهاب1979 : _ الموسوعة السياسية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص225.

[7] [[الملك حسين بن طلال: ولد عام 1935، وهو ملك الأردن ، تولى العرش بعد وفاة أبيه الملك طلال، تلقى علومه في الأردن، التحق بالكلية العسكرية في انكلترا ، كما وقع الميثاق العسكري بين مصر والأردن عام 1957، أيضاً وقع اتفاقية عسكرية واقتصادية وثقافية مع السعودية عام1962، ألف كتاب عن أحوال مملكته، توترت العلاقات بينه وبين الدول العربية على أثر عقده اتفاقية دفاع مشترك مع مصر في أعقاب حرب عام1967، عقد أيضا" اتفاقية سلام مع اسرائيل عام1994، وتوفي عام 1999. غربال. محمد شفيق1987: _ الموسوعة العربية الميسرة، مج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت، ص1374.

الفلسطيني المسلح في الأردن وخصوصا" بعد تعرض الملك حسين لعدة اغتيالات من قبل رجال ياسر عرفات[8]، وعلى أثر ذلك بدأت شرارة المواجهات العنيفة تقذف بين الطرفين [9].

حيث بدأت أولى المعارك بهجوم شنته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[10]، حيث قامت بخطف طائرة واقتادتها إلى مدرج في الصحراء الأردنية، وهنا يمكن ملاحظة أنه فعلاً لم تعد القوات الفلسطينية تأبه بالحكومة الأردنية وإلا لما أقدمت على ذلك الفعل ، كما يعد هذا العمل من أضخم الأعمال التي نفذتها ، وردا" على ذلك لم تقف الحكومة الأردنية مكتوفة الأيدي بل أمر الملك حسين باستئصال كل جزر للفدائيين الفلسطينيين في الأردن، لذا كان حصيلة كل هذه الحوادث إن وقعت الواقعة وراح ضحيتها الآلاف بين قتيل وجريح من كلا الطرفين واستمر ذلك لمدة عشرة أيام، ومن هنا أصبح يعرف أيلول عم (1970)، ب أيلول الأسود[11].

[8]_ياسر عرفات : ولد في القدس عام1929، وهو رئيس دولة فلسطين والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، أسمه الحقيقي محمد عبد الرؤوف عرفات ، انتقل والده مع عائلته إلى القاهرة عندما كان صغيرا" على أثر ضغوطات سياسية فرضها عليه الإنكليز، وعندما بلغ سن العاشرة بدأت اهتماماته بالشؤون السياسية والعسكرية بالظهور، وفي عام1946 شارك في عملية تهريب أسلحة من مصر إلى فلسطين ، وفي عام 1957، ترك مصر وسافر إلى الكويت للعمل وهناك أسس أولى خلايا حركة فتح ، طلب أيضا" من الرئيس أحمد بن بلا بفتح مكتب للحركة في الجزائر، كان عرفات أصغر الضباط في جيش الجهاد المقدس ، شارك في الأحداث التي وقعت في الأردن عام 1970، شارك أيضا" في كل العمليات التي تخص نصرة القضية الفلسطينية ضد العدو الصهيوني، توفي عام 2004. الكيالي. عبد الوهاب:_ الموسوعة السياسية، ج7، مرجع سابق، ص381-382-383.

[9]-منظمة الطليعة العربية في تونس ،_ النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية ، مرجع سابق ،ص2.

[10] الجبة الشعبية لتحرير فلسطين: المؤسس هو أحمد جبريل، والأمين العام المساعد هو طلال ناجي ، برزت هذه الجبهة في عمليات اختطاف الطائرات ، قامت بمجزرة كبيرة في اسرائيل عام 1974، مصدر تسليحها كان ليبيا، وفي عام1977، أيدت في المجلس الوطني الفلسطيني المشروع الذي تريده سوريا وهو مشروع إقامة وطن فلسطيني مستقل في الضفة وغزة ومشاركة منظمة التحرير في مؤتمر جنيف. سعيدي، سعيد1998: _ معجم الشرق الأوسط ، ط1، دار الجبل، بيروت ، ص104.

[11]-منظمة الطليعة العربية في تونس ،_ النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية ، المرجع السابق ، ص2-3.

كانت نهاية الأحداث توقيع اتفاق في القاهرة والذي على أثره توقف القتال بشكل كامل بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية، فقد جرى ذلك في 28 أيلول عام(1970)، وقد عرف ب اتفاق القاهرة الثاني [12].

فيما تلخص موقف العراق من تلك الحوادث، إن أثارت استياء الحكومة العراقية بشكل عام أي (حكومة" وشعبا")، فقد خرج نائب رئيس الجمهورية صالح عماش[13]، وأكد أن قضية فلسطين قضية عربية لا تعني بدولة واحدة، وهذا ما أكده أيضا" الرئيس أحمد حسن البكر[14]، عندما

[12]]– لقد نص الاتفاق على وقف إطلاق النار، واطلاق سراح الأسرى وخروج المقاومة الفلسطينية من عمان وغيرها من المدن الأردنية، ولكن فيما بعد قامت قوات تابعة للحكومة الأردنية في تموز عام1971، وهاجمت القواعد الأخيرة التي تمركزت فيها المقاومة بعد اتفاق القاهرة، حيث تمكنت من إخراج الفدائيين من الأردن نهائيا. عويد. خالد1995: _العلاقات الأردنية _ الفلسطينية ماضيا" وحاضرا" ومستقبلا" ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، مج6، ع24، ص22.

[13]]_ صالح عماش: ولد عام 1925 في بغداد ، درس فيها كافة المراحل الدراسية، بعدها دخل الكلية العسكرية وتخرج منها في منتصف الأربعينات، عين أيضا" ضابط استخبارات في مديرية الاستخبارات العسكرية، انضم إلى حركة الضباط الأحرار عام1958، وشارك أيضا" في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم عام1962، عين أيضا" وزيرا" للداخلية عام1968، كذلك عين سفيرا" للعراق في الاتحاد السوفييتي عام1971، توفي في ظروف غامضة عام 1971 . الزبيدي. حسن2013 :_ الموسوعة السياسية العراقية، ط2، مؤسسة العارف للأعمال ، بيروت ، ص338.

[14]]_ أحمد حسن البكر: ولد عام 1914، في تكريت درس الأبتدائية فيها ثم أكمل دراسته في بغداد ، وتخرج عام 1932، التحق بالكلية العسكرية عام 1938، وتخرج برتبة ملازم ثان ، وبعد ثورة عام 1958، عين عضوا" في المجلس العراقي العسكري ساهم أيضا" بالتخطيط لثورة أيلول عام 1963، ثم عين رئيسا" للوزراء ،بعدها قاد التظاهرات الجماهيرية في نكسة حزيران عام1967، كما أطاح بحكم عبد الرحمن عارف عام1968، وعين رئيسا" للجمهورية ، وفي عهده وصل العراق إلى قمة الدور الريادي في حركة التحرر العربي ، بعد ذلك ترض لظروف صحية سيئة اضطر لترك الحكم . المطيعي . أحمد 1995: _موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، ج1، دار الشؤون الثقافيه العامة ، بغداد ، ص11.

ازدادت حدة التوتر وتعاظمت الاستفزازات، وهنا أشار بقوله أن يضع العراق قواته المرابطة في الأردن تحت قيادة اللجنة المركزية الفلسطينية [15].

ومع بدء عام 1971، وصلت الأمور بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى نقطة الاعودة، على أثر القرار الذي اتخذته الحكومة الأردنية بضرب قواعد الفدائيين، اذ قام الجيش الأردني بقصف قواعد الفدائيين في الثامن من كانون الثاني عام 1971 وعد ياسر عرفات ذلك خرقا" لاتفاقية القاهرة، وفي اليوم نفسه وجه ياسر عرفات رسالة إلى ملوك العرب وقادتهم حول تجدد القتال في المملكة الأردنية الهاشمية، نجدهم قائلاً (في الوقت الذي غادر الرئيس الباهي الادغم عمان قام قامت السلطات الأردنية بدفع قواتها إلى مهاجمة قواتنا العسكرية في الأماكن المحددة لها من الاتفاق عن طريق القصف الشديد والمراكز المدفعية ومختلف الأسلحة الأخرى، ودفعت الدبابات والأليات وهاجمت قواعد الفدائيين في أم الرمان، والصبيحة) [16].

بادر العراق إلى مناشدة الحكومة الأردنية في 12 من كانون الثاني عام 1971 بوقف إطلاق النار والالتزام باتفاقية القاهرة، واسفر الضغط على الحكومة الأردنية عن عقد اجتماع بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية في الثالث عشر من كانون الثاني من العام نفسه، واتفق الطرفان على وقف القتال ، ولكن الاتفاق لم يمنع من انفجار الوضع العسكري مره أخرى في 28 من أذار عام 1971 في مدينة إربد [17].

كما وجهت الحكومة العراقية تحذير إلى الحكومة الأردنية أنه في حال استمرار الاشتباكات مع الفدائيين فأنها لن تتدخل أو تمنع أي فرد من القوات العراقية من التدخل إلى جانب الفدائيين

[15] _الهيتي. محمد 2017:موقف العراق من الأحداث السياسية العربية1968-1979، أطروحة دكتوراه ، جامعة الأنبار، العراق، ص71.

[16] _الوثائق الفلسطينية لعام1970، ص70.

[17] _الحوت. شفيق2003: منظمة التحرير كما يراها شفيق الحوت ، شاهد على العصر، حلقة 5.

الفلسطينيين [18].لذا استغلت القوات الصهيونية هذا الوضع المتوتر وما يجري داخل الأردن وأضعفت إرادة الفلسطينيين والكفاح المسلح داخل لبنان[19]. تزامن هذا الوضع المتوتر مع خروج منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن ، لذا ومن الطبيعي أن تبحث المنظمة عن مكان آخر لهم ، يربط بينهم وبين الأراضي المحتلة ، وعليه كان لبنان هو الخيار الوحيد لانتقال المنظمة إليها أو بالأحرى فقد فرض عليهم هذا الخيار، نظرا" للأحوال السياسية السيئة التي كانت تتخبط بها الدول العربية [20].

وجه ياسر عرفات نداء إلى ملوك العرب ورؤسائهم، ناشدهم فيها بوقف القتال وحماية المقاومة في المملكة الأردنية الهاشمية، ونظراً لهذه الأحداث، تألفت لجنة أردنية فلسطينية، لتنفيذ اتفاقية القاهرة وأصدرت الحكومة الأردنية بيان حول إخضاع مناطق عمان للتفتيش عن سلاح، ورحبت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالبيان الأردني ووافقت على ذلك[21].

في تلك الفترة كان لبنان يشهد حدوث انتخابات رئاسية فاز على أثرها سليمان فرنجية [22]، وأصبح رئيسا" للبنان عام(1970)، وهنا يمكن تلخيص المشهد بما يلي : أن اللبنانيين خلال أحداث أيلول الأسود تخوفوا من الفدائيين وتصعيدات أعمالهم وخصيصا" في القرى المتاخمة

[18] _الهيتي. محمد : موقف العراق من الأحداث السياسية العربية1968-1979، مرجع سابق، ص71-72

[19] _ أبو هلال. محمود عادل: تطور العلاقات اللبنانية الفلسطينية، مرجع سابق، ص71-72.

[20] _ الحوت. شفيق2003: منظمة التحرير كما يراها شفيق الحوت ، شاهد على العصر، حلقة 5.

[21] _سخنيني. عصام1983:تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة شؤون فلسطينية، ع15، ص30.

[22] _سليمان فرنجية : ولد عام 1910، في زغرتا في لبنان ، وينحدر من عائلة مارونية ، دخل الحياة السياسية لأول مرة عام 1950، شغل عدة مناصب وزارية في حكومات صائب سلام وعبد الله اليافي ورشيد كرامي ، تم انتخابه رئيسا" للجمهورية لعام 1970،تميزت فترة حكمه بكثرة الصدامات مع المقاومة الفلسطينية ، كما تعرض لبنان إلى حرب أهلية دامية ، وهذا يؤكد وجود خلل كبير في النظام والطبقة الحاكمة ، رفض الاستقالة من رئاسة الجمهورية على الرغم من الطلب الذي تقدم به مجلس النواب اللبناني ، توفي عام 1992 . الكيالي. عبد الوهاب : الموسوعة السياسية ، مرجع سابق ، ص233.

للحدود اللبنانية [23]، جاء هذا مع إعلان نائب الرئيس العراقي حردان التكريتي [24]، تصريحات أن العراق مستعد كل الاستعداد لدعم الفلسطينيين مع مواجهة الدول التي أيدت مشروع روجرز وأهدافه في تصفية القضية الفلسطينية [25].

وهذا ما عدته الأواسط اللبنانية خروج عن أبسط القواعد السياسية وأن العراق غير آبه بمشاعر اللبنانيين والذي أغلبه يرفض التواجد الفلسطيني في لبنان خشية من المشاكل التي يسببها، وعلى العموم مثل هذه الأحداث سوف تؤثر سلبا" على العلاقات مع العراق ومع الدول العربية [26].

ومع ذلك فإن الرئيس أحمد حسن البكر وجه رسالة إلى كل الرؤساء والملوك العرب حول الوضع بشكل عام في الأردن حيث قال أن بقاء المقاومة واستمرها هو الطريق الوحيد لضمان حق الشعب الفلسطيني. وفي الوقت ذاته رفض العراق رفضا" قاطعا" وضع قواته في الأردن تحت إمرة الملك حسين [27].

أما الجانب اللبناني وقبل إجراء الانتخابات الرئاسية وتعيين سليمان فرنجية، كان شارل الحلو[28] قد تخوف من انتقال تأثير أحداث أيلول الأسود إلى لبنان وخصيصا" بعد معرفة موقف العراق من

[23] _الوثائق الفلسطينية لعام1970، ص70.

[24] _حردان التكريتي: ولد عام 1925 في تكريت ، دخل الكلية العسكرية وتخرج منها عام1949، التحق عام 1952 بدورة أركان القوة الجوية في المملكة المتحدة ، شارك في انقلاب عام1968 ثم عين نائبا" للقائد العام والقوات المسلحة، ثم نائبا" لرئيس الوزراء، بعدها أصبح نائبا" لرئيس الجمهورية عام1970، اغتيل عام 1971عند مدخل مستشفى الأميري . الزبيدي. حسن : موسوعة السياسية العراقية، مرجع سابق، ص215.

[25] _ الوثائق الفلسطينية لعام1970، ص70.

[26]الحوت. شفيق2003: منظمة التحرير كما يراها شفيق الحوت ، شاهد على العصر، حلقة 5.

[27] صحيفة النهار اللبنانية، ع7562، ا أيلول ، 1970.

[28] _ شارل الحلو:. سياسي ومحامي وصحفي لبناني تولى رئاسة الجمهورية لبنان (1964 –1970) ، درس القانون في فرنسا، وكان من مؤسسي حزب الكتائب اللبنانية، لكنه انضم فيما بعد الى كتلة بشاره الخوري الدستورية، شغل منصب سفير لبنان في الفاتيكان. وفي عام (1949) اصبح وزيرا للعدل في حكومة رياض الصلح، انتخب

تلك الأحداث، لذا وجه رسالة إلى الملك حسين يحثه على اتخاذ تدابير وإجراءات لوقف إطلاق النار [29]

وبنفس الوقت أرسل رسالة إلى ياسر عرفات طلب منه وضع حد للقتال الدامي في الأردن ، ومؤكدا" على ضرورة النظر في مصلحة العرب بالمرتبة الأولى [30]

وبالنظر للوضع العام في لبنان في ذلك الوقت، فقد كان متوتر وأحدث بلبلة وقلق نوعا" ما حيث منعت السلطات اللبنانية في عام(1971)، نزول ركاب إحدى الطائرات العراقية في بيروت ، ولم تكتف بذلك بل وأعادتهم إلى العراق ،وذلك بحجة أنهم كانوا يقاتلون إلى جانب الفدائيين الفلسطينيين ضد الجيش الأردني، وبالمقابل نفت السفارة العراقية في بيروت هذا الادعاء أو التصريح وقالت أن الركاب هم مواطنون عرب وليس جميعهم عراقيين أو مقاتلين مشاركين في أحداث الأردن[31].

ونستنتج مما سبق توتر في العلاقات بين الحكومتين اللبنانية والعراقية بسبب المواقف المتعارضة من كلا الطرفين فيما يتعلق بالوجود الفلسطيني في لبنان، بينما كان موقف بعض الدول العربية إن تفهمت موقف لبنان وأدركت بالوقت ذاته دوافعه وأهدافه . إضافة لذلك قدرت موقف الحكومة اللبنانية فيما يتعلق بهذا الوجود، لإن لبنان كان متخوف جدا" من أن يتكرر في لبنان ماحدث في الأردن ، إضافة إلى التخوف أكثر من توتر الوضع والذي هو في الأساس متوتر بسبب الإنقسام بين اللبنانيين أنفسهم مابين مؤيد ومعارض للوجود الفلسطيني.

خلفا للجنرال فؤاد الشهاب، وممثلا للنهج الشهابي، يعتبر من اكثر الرؤساء اللبنانيين تفاهما واكثرهم ميلا للحوار توفي عام(2001). الكيالي .عبد الوهاب1990_ ،موسوعة السياسة،ج3 ، مرجع سابق ، ،ص428

[29] _الوثائق الفلسطينية لعام1970، ص71.

[30]_ رعد. ليلى2005: _تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، مكتبة السائح ، بيروت ، ط1 ، ص204.

[31] _ الوثائق الفلسطينية لعام 1970، ص71.

ثانياً- تأثير حرب تشرين عام 1973على الأوضاع اللبنانية : 1973-1974:

كان لأحداث عام(1967)، وما حل بالجيوش العربية من هزائم ،نتائج لاحقة، فبعد ست سنوات من ذلك العام ، اجتمعت عدة عوامل لتكون بوادر قيام حرب في عام (1973)[32]

فكان من جملة تلك العوامل هو : بعد أنتهاء حرب علم1967، صدر قرار من مجلس الأمن الدولي وهو ينص على انسحاب الصهاينة من الأراضي التي احتلوها ، وبالطبع هذا القرار جوبه بتجاهل معتمد، بل على العكس قام الصهاينة واحتلوا أراض من ثلاث دول وهي مصر وسوريا والأردن، هذه الحوادث خلقت جو من التوتر وحالة عدم استقرار في المنطقة حيث كانت نهايتها اندلاع حرب عام 1973[33]

وبناء على ما سبق فقد جرت تنسيقات وتخطيطات من قبل الحكومات العربية وعلى رأسها سوريا ومصر [34] ، من أجل القيام بعملية هجومية ضد الكيان الصهيوني بغية تغيير المواقف السياسية والعسكرية في المنطقة وقسمت المهام بين القيادتين بحيث تقوم القوات المصرية بعبور

[32]]_البدوي . حسن1987 : _ حرب رمضان الجولة العربية الاسرائيلية عام 1973،ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص37.

[33]]_بهذا الصدد يذكر أن جميع الجهود التي قامت بها الأمم المتحدة والرامية لحل مشكلة الأراضي المحتلة، يذكر منها مشروع روجرز. كعوش. يوسف1993: _ الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية 1947-1986، ط2، دار الفلاح للنشر، عمان، ص65.

[34]]_بدوي. حسن : حرب رمضان الجولة العربية الاسرائيلية عام 1973،مرجع سابق، ص85.

قناة السويس وتدمير خط بارليف[35]، أما القوات السورية فالهدف كان إعادة السيطرة على الجولان والوصول إلى خط نهر الأردن[36]

وبالفعل تم ما قد خطط له سابقاً فقد أعلنت الحكومتان المصرية والسورية الحرب في تشرين عام(1973)، وشكلت تلك الحرب مفاجئة كبرى للكيان الصهيوني، فقد عبرت القوات المصرية وحطمت خط بارليف، ومن جهتها تقدمت القوات السورية في هضبة الجولان [37]، وهنا دق ناقوس الخطر وأعلنت ساعة الصفر حيث احتشدت القوات العربية على كامل الحدود الصهيونية الشمالية والجنوبية ،وبدأت بشن هجمات مفاجئة على بعض المواقع الصهيونية في سيناء، وبالمقابل قامت الجبهة السورية بشن هجوم على المواقع الصهيونية في هضبة الجولان وحررت بعض المواقع هناك [38]

وهذا ما يمكن عده انتصار ساحق للقوات العربية، بحيث كبدت الصهاينة خسائر فادحة، لكن وللأسف استجمعت القوى الصهيونية قواها بعد الهزيمة وبعد أن حصلت على الدعم الأمريكي

[35] _خط بارليف:هو خط دفاع تمّ بناؤه على يد جيش الدفاع الإسرائيليّ، والمكوّن من مخابئ خرسانية سميكة، حيث قام المهندسون الإسرائيليون ببنائه؛ بهدف تحصين نقاط العبور المحتملة على طول الجانب الشرقيّ لقناة السويس، بحيث يكون قادراً على تحمّل إطلاق النار الكثيف من الجانب المصريّ، وذلك خلال حرب الاستنزاف من 1967–1970، كما وتشير التقديرات إلى أنّ إسرائيل استثمرت 300 مليون دولار لبناء هذا الهيكل الدفاعيّ الملموس الرمليّ الضخم . الزين. حسن1988_ حرب تشرين في مواقف ومشاهد من العدو ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، د. م. ن، ص236.

[36] _ الشاذلي. سعد1988: _ حرب أكتوبر، مذكرات، مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، باريس، ص23.

[37] _ الجسمي. محمد عبد الغني1989 : _ مذكرات حرب اكتوبر 1973، مطابع شركة البيت، باريس، ص302.

[38] _ كعوش. يوسف :الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية، مرجع سابق، ص62.

حيث تزودت بأسلحة حديثة متطورة ، وباجتماع كل ذلك حدث عنصر المفاجأة وهو هجوم مضاد وعنيف وخصيصا" بعد استعمال خطة الغزالة [39]

بعدها استمرت العمليات في المنطقة لمدة 20يوم، خلال هذه المدة جرى صدام واقتتال بين القوات المصرية والصهيونية غرب القناة، حيث قصفت القوات الصهيونية الموقع بالصواريخ والمدفعية، لكن القوات العربية عادت وسيطرت على زمام الأمور [40].

واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن جاء أمر من مجلس الأمن الدولي بوجوب وقف إطلاق النار في 23تشرين الثاني عام(1973)، وبرعاية تامة من الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لذا وبناء على ما سبق توقف القتال في 28 تشرين الثاني عام (1973)[41].

فيما تلخص وتجسد الموقف العراقي مما حدث وتأثير ذلك على الأوضاع في لبنان، يمكن القول أن لبنان في بادئ الأمر لم يكن يرغب بالدخول في الحرب بل كانت نيته بأن يكون له دور ثانوي لكي لا تؤثر نتائج الحرب على أوضاع لبنان والتي هي في الأساس في حالة عدم استقرار أمني وداخلي، وخصوصا" بعدما نقلت منظمة التحرير الفلسطينية مركزها من الأردن إلى لبنان بعد أحداث أيلول الأسود [42]، لكن شاءت الأقدار ودخلت لبنان الحرب بشكل فعلي بطريقة ما،

[39] _ خطة الغزالة: تقوم هذه الخطة على أن القوات الصهيونية تقوم بالعبور إلى الضفة الغربية لقناة السويس بقوة فرقتين، وتقومان بإقامة رأس جسر ثم تتجهان شمالا" وجنوبا" نحو المدن المصرية وخصوصا" الاسماعيلية والسويس أو نحو إحداهما بحسب ظروف المعركة . الكيلاني. هيثم1991: _ الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص366.

[40] _ جرادوف. فلاديمير 2016: _ مصر من عبد الناصر إلى حرب أكتوبر، تر أنور ابراهيم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ص179.

[41] _جرادوف . فلاديمير : مصر من عبد الناصر إلى حرب أكتوبر، مرجع سابق، ص179.

[42] _ الوحيلي . عمار2019: _ كامل أسعد ودوره السياسي في لبنان 1933–2010، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة ميسان ، ص129–130.

وهنا سوف يتم عرض ما فعلته لبنان تجاه تلك الحرب لكي لا تجر البلاد إلى يجلب لها عواقب وخيمة هي بالغنى عنها [43]

واستنادا" لما سبق بدأت الحكومة اللبنانية بممارسة نشاط سياسي مع تنسيق عالي المستوى بين الرئيس فرنجية والحكومتان المصرية والسورية و التباحث حول مستجدات الوضع الراهن، إضافة" إلى دراسة كيفية مواجهة الأخطار التي قد تقع، هذا تقرر في تشرين الأول عام(1973) عقد اجتماع بين وزيري الدفاع والخارجية اللبنانيين برئاسة كامل أسعد [44]

وقد أفضى ذلك الاجتماع عن قرارات عديدة منها[45] :

1-الأولوية بالاهتمام بالشؤون العسكرية وتعزيز الإمكانات الدفاعية للجيش.

2-تأييد الدول العربية الداخلية في القتال [46].

3-تعبئة القوى الشعبية لمواجهة أي خطر محتمل .

[43] _الوحيلي . عمار: كامل أسعد ودوره السياسي في لبنان 1933-2010، المرجع السابق، ص130.

[44] _ كامل أسعد : ولد عام 1932، درس في مدرسة الحكمة في بيروت ، ثم التحق بمعهد الحقوق ، بعدها أكمل دراسته في فرنسا عام1952، وبعد تخرجه من فرنسا عاد إلى لبنان ليمارس مهنة المحاماة، بعدها انتخب نائبا" عن الجنوب ، كما وأصبح وزيرا" للتربية عام 1962، في حكومة رشيد كرامي ، ووزيرا" للموارد المائية والكهربائية عام1966، في حكومة عبد الله اليافي ، كما انتخب رئيسا" للمجلس النيابي في لبنان عام1968-1984، وتوفي عام 2010. الوحيلي . عمار : كامل أسعد ودوره السياسي في لبنان ، المرجع السابق،ص18-25.

[45] _رعد. ليلى : تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، مرجع سابق ، ص239.

[46] _م. م. ل. ل : الدور التشريعي الثالث عشر ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الأولى ، 16 تشرين الأول ، 1973.

4-توفير وسائل الدفاع المناسبة لحماية الأهالي والمواطنين من كافة الأخطار وخصيصا" أهالي الجنوب اللبناني نظراً لقربهم من الحدود مع الكيان الصهيوني [47].

يضاف لذلك أصدر الرئيس فرنجية عدة إجراءات أكدت على الوحدة والتضامن العربي وأثبتت مدى التقارب العربي في الأزمات والمحن [48]، ولهذا فقد أشاد الزعماء العرب بموقفه واطلقوا عليه اسم الجندي المجهول ، كما قدموا دعما" ماديا" ومعنويا" [49] ،

فتأثير بداية الأحداث كان عندما قام الفدائيين الفلسطينيين في لبنان بقصف المستعمرات خلال الحرب، ليكون الرد على هذا القصف من الجانب الصهيوني إن قصف قرى ومناطق الحدود اللبنانيين في 10 تشرين الأول عام(1973)، مبررة ذلك أن تلك القرى تزود السلطات السورية بمعلومات عن تحرك الطائرات الإسرائيلية [50]. وهذا ما جعل الداخل اللبناني يعيش في تناقضات سياسية ربما تسفر عن نتائج كارثية على لبنان، فمن جهة حذر حزب الكتائب[51] من زج لبنان في

[47] _ م. م. ن. ل : الدور التشريعي الثالث عشر ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الأولى ، 16 تشرين الأول ، 1973.

[48] _ كان من ضمن تلك الاجراءات التي اتخذها فرنجية هو وضع لبنان كافة الإمكانيات الصحية والأمنية تحت التصرف السوري بغية تزويدها بما يلزم من الوسائل والمعدات، كما أصدر الرئيس فرنجية مرسوم يقضي بتخفيض وتقليص مصروف البنزين، كما أصدر تعليمات بأن تقوم سيارات الشحن بنقل البنزين إلى سوريا وتفريغ الحمولة ووضعها تحت تصرف الحكومة السورية، وذلك لإن معامل التكرير السورية قد دمرت جراء غارات صهيونية . عبد الغني . محمد2011 : _ الأوضاع الداخلية اللبنانية 1970-1980، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد ، ص91-92.

[49] _ رعد. ليلى : التاريخ السياسي والأقتصادي والأجتماعي في لبنان ، مرجع سابق ،ص239-240.

[50] _ عبد الغني ، محمد : الأوضاع الداخلية اللبنانية 1970-1980، مرجع سابق، ص92-93.

[51] _ حزب الكتائب : تأسس هذا الحزب بداية الأمر على هيئة منظمة الكتائب عام 1936 ، من قبل بيار الجميل في 5 تشرين الثاني عام 1936 ، حصلت المنظمة على ترخيص التأسيس وقد استقطبت عدداً من أبناء لبنان ولا سيما المناطق المسيحية ، وقد حلت المنظمة عام 1943 ، وتم العمل على تحويل المنظمة الى حزب، إذ تم تأسيس الحزب السياسي بإسم حزب الكتائب عام 1952 . الجبوري، حمد حسن: حزب الكتائب اللبنانية ودوره السياسي 1970 _1989 ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ،2012 ص14- 52-141.

مأزق ودعى الحكومة اللبنانية إلى الانتباه من التورط أكثر في هذه الحرب والتي ستجلب لها الويلات ، كما دعاها للاقتصار على تقديم الدعم المادي والمعنوي فقط[52]. أما الأحزاب الوطنية فقد شكلت وفدا" لزيارة رئيس الوزراء تقي الدين الصلح [53]، حيث بينت من خلال هذه الزيارة موقفها من هذه الأحداث بأنها على عكس سابقتها من حزب الكتائب وغيره ، بمعنى آخر وضحت أن على لبنان أن يمارس دوره في هذه المعركة [54].

وعند هذه المرحلة يمكن ملاحظة أن الأوضاع في لبنان باتت رمادية ، فالأمور امتزجت مع بعضها والوضع الداخلي أصبح حرجا"، لذلك لا بد من فعل شيء من أجل جعل الأمور مفهومة وواضحة، وهنا قرر رئيس الوزراء عقد ندوة في 13تشرين الأول عام (1973)، حول الأوضاع الراهنة وتحديد موقف لبنان النهائي بأنه لن يكون ممرا" للكيان الصهيوني [55].

وبمتابعة لمجريات المعركة فقد كانت الأمور تسير لمصلحة العرب، حتى جاء اليوم الذي تدخلت فيه الولايات المتحدة وساعدت الكيان بشكل مباشر، فقد قدمت له كافة أنواع الدعم المادي

[52] _ الحجازي ، فهد د. ت_: الحروب الأهلية اللبنانية على خارطة الهجمة العالمية، ط1، دار الفارابي للنشر، بيروت ، ص206-208.

[53] _تقي الدين الصلح:: ولد عام 1907 في صيدا، تلقى علومه الأولى في بيته على يد الشيخ محمد الأزهري، وتلقى على يديه علوم الفقه والأدب واللغة العربية، بعدها أكمل تعليمه ودخل الجامعة الأمريكية ببيروت، درس الأدب العربي والتاريخ ، كان أيضاً منخرطا" بالعمل القومي وأسس حركة الميثاق الوطني عام 1932، انتخب نائبا" عن قضاء زحلة في دورة عام 1957، شارك في أعمال اللجان النيابية ،عين وزيرا" للداخلية عام 1964، في حكومة حسين عويني ، بعدها عين رئيسا" لمجلس الوزراء، توفي عام 1988في باريس على أثر نوبة قلبية . غنام . رياض2012: معجم حكام لبنان 1922-2008، ط1، دار بلال للنشر، بيروت ، 2012، ص347-350.

[54] _عبد الغني . محمد: الأوضاع الداخلية اللبنانية، مرجع سابق ، ص93.

[55] _رعد. ليلى : التاريخ السياسي والأقتصادي والأجتماعي في لبنان ، مرجع سابق ، ص240.

والمعنوي، وهذا كان كفيلا" بأن يقلب الموازين لمصلحة الكيان ،كما ترافق هذا مع إعلان مجلس الأمن الدولي وقف إطلاق النار[[56]]

أما الحكومة العراقية ففي البداية لم يكن لديها دراية وعلم بنبأ نشوب تلك الحرب على هذا النحو وعلى هذا المستوى والمرحلة المتقدمة، لإن الحكومتان المصرية والسورية لم تبلغها بعزمها على البدء بالحرب، ومع ذلك فور علمها بذلك عقدت اجتماع طارئ واتخذت قرارها بالدخول في الحرب أسوة بغيرها، كما أنها اتخذت عدة قرارات كان أهمها : تأميم حصة الولايات المتحدة من شركة نفط البصرة واعتبار ذلك شرارة البدء ضد الإمبريالية الأمريكية[[57]] لا شك أن هذه الحرب حظيت أيضاً باهتمام الأحزاب العراقية ولا سيما الحزب الشيوعي العراقي [[58]]، الذي أكد على ضرورة ردع العدوان الصهيوني عن الدول العربية وتقديم كل المساعدات العسكرية والسياسية [[59]].

لكن رغم كل الجهود التي بذلت والمساعدات التي قدمت من الجانب العراقي، كان قرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار بمثابة تصريح أو قول جعل الحكومة العراقية على أثره تسحب قواتها [[60]].

[56]]_الجنوبي. مصطفى 2007: _ ترسيم الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية وأبعادها السياسية والعسكرية 1920–2000، دار المجلة البيضاء، بيروت ، ص206.

[57]]_منظمة الطليعة العربية في تونس، دور الجيش العراقي في حرب اكتوبر عام 1973، المرجع السابق، ص9.

[58]]_ الحزب الشيوعي العراقي: تأسس هذا الحزب عام 1935، حمل منذ تأسيسه لواء القضية الكردية، وفي مؤتمره الأول عام 1945، شكل في كردستان العراق الفرع الشيوعي العراقي، وكان أثناء الحرب العالمية الثانية، قد أصدر أول صحيفة باللغة الكردية ، شهد الحزب عصره الذهبي في عهد عبد الكريم قاسم الذي شكل مع الحزب تحالفا" ضد التيار العروبي الوحدوي،من ثم تعرض للاضطهاد في عهد عبد السلام عارف، بعدها شهد فترة من الاستقرار بعد توقيع الرئيس العراقي معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتي ،ألا أنه عاد في عهد صدام حسين إلى الملاحقة والاضطهاد. سعدي. سعد: معجم الشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص257–258.

[59]]_ صحيفة الأنوار اللبنانية، ع4685، بيروت ، 21 تشرين الثاني1973.

[60]]_الوحيلي. عمار : الأوضاع الداخلية اللبنانية، مرجع سابق ، ص30

وفي ضوء العلاقات التي تربط العراق ولبنان فإن تقي الدين الصلح قد زار العراق وحاول جاهدا" لإقناع الرئيس أحمد حسن البكر لحضور مؤتمر القمة في الجزائر [61]، ذلك المؤتمر الذي سبق وإن رفضت الحكومة العراقية المشاركة فيه ، لإن العراق لا يعتقد أن نتائج هذا المؤتمر سوف تكون على مستوى المسؤوليات الملقاة على عاتق الأمة العربية تجاه تحرير الأرض وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني في أرضه، وقد تخلل تلك الزيارة محاولة لإقناع الرئيس أحمد حسن البكر عن العدول عن موقفه وحضور المؤتمر ، لكن دون فائدة مع إصراره على أن السياسة العراقية تجاه المؤتمرات قائمة على موقف صريح وواضح وقائم أيضا" على الغرض الأساسي الذي من أجله عقد المؤتمر [62].

وعلى العموم فقد أثنى الرئيس العراقي على موقف لبنان وأيد التحرك اللبناني على الصعيدين العربي والدولي ، كما وضح أن علاقة لبنان والعراق هي علاقة جيدة وحسنة ،كما وأشاد تقي الدين الصلح بموقف العراق من القضايا العربية المصيرية، وتفهم أيضا" موقف العراق من عدم حضور مؤتمر الجزائر ورفضه ،موضحا" ذلك أنه لا يعني أن العراق لا يوافق على حل عادل ودائم للقضية الفلسطينية ،وأنما الرغبة في إيجاد حل يرضي به الفلسطينيين أنفسهم ويضمن حق الشعب الفلسطيني [63]

[61]]_مؤتمر القمة في الجزائر: عقد هذا المؤتمر في الفترة الممتدة ما بين 26-28 تشرين الثاني عام 1973، حضره الملوك والرؤساء العرب في الجزائر ،كما ويعد هذا المؤتمر من أنجح المؤتمرات العربية وأبرز ما جاء في قراراته هو الالتزام بضرورة 1-إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ،2-تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة من عدوان حزيران عام 1967. سعيدي. سعد: معجم الشرق الأوسط ، مرجع سابق ، ص387.

[62]]_صحيفة الأنوار اللبنانية ، ع4688، بيروت ، 24تشرين الثاني 1973.

[63]]_الحجازي . فهد: الحروب الأهلية اللبنانية على خارطة الهيمنة العالمية ، مرجع سابق ، ص208-209.

الاستنتاجات

1-كانت الأحداث الصاخبة التي شهدتها المنطقة العربية بشكل عام كانت ذات تأثير كبير على الداخل اللبناني ، ولا سيما أن لبنان كان لديه من المشاكل ما يكفيه ولا يريد أن يقحم نفسه في مشاكل هو بالغنى عنها ، لكن فيما بعد وجدت الحكومة اللبنانية نفسها في صدام مباشر مع الفلسطينيين الموجودون في الجنوب اللبناني ، بسبب المشاكل التي سببها ذلك الوجود والذي على أثره أصبح لبنان يعاني من مناوشات مع الكيان الصهيوني ، إضافة إلى الإنقسام بين الفئات اللبنانية مابين مؤيد ومعارض له ، ومن كل هذه الحوادث نجد الحكومة العراقية حاضرة في موقفها إذ لا يخفى على أحد أن الحكومة العراقية كانت مؤيدة ومساندة للفلسطينيين وقضيتهم لذا تعاملت مع الموقف بشكل سليم بحيث أنها لن توقف الدعم للفلسطينيين وبذات الوقت لا تريد زعزعة العلاقات مع الحكومة اللبنانية. إضافة إلى أن لبنان في بداية الأمر لم يكن يرغب في دخول حرب عام(1973)، لكن لأسباب معينة دخل الحرب إلى جانب القوات العربية ضد الكيان الصهيوني ، ربما يمكن تفسير ذلك أنه لو انتصر العرب في الحرب فسوف تقل نسبة المشاكل وخصوصاً في الجنوب اللبناني المتمركز فيه الفلسطينيين وصدامهم المتكرر مع الكيان الصهيوني ،والذي ألحق الضرر بالداخل اللبناني ، وهنا أيضاً نجد الحكومة العراقية متمسكة بموقفها المؤيد للقوات العربية في حربها .

2-تدخلت الحكومة العراقية في لبنان بنية مساندة الحكومة اللبنانية ودعمها في مساعيها وتدعيم حكمها، والتخلص من الفوضى الداخلية العالقة فيها ، لكن في الوقت ذاته، كان يهمها إخراج سوريا من لبنان وعدم التدخل في شؤون الداخلية.

3- تدخل العراق في لبنان جاء من رغبة واضحة في مساعدة الحكومة اللبنانية والشعب اللبناني على حل الأزمة الناشئة ، بالإضافة إلى السعي الحثيث من أجل التوصل لحل يرضي الأطراف المتصارعة جميعها في لبنان ، ولا سيما القوات الفلسطينية المتواجدة في لبنان ، والتواجد السوري

في لبنان . إذ لا يخفى القول أن العراق وسوريا كانتا على خلاف دائم ، لكن رغم ذلك كان الهدف واضح هو إحلال الأمن والسلام في لبنان .

الوثائق العربية :

1-الوثائق الفلسطينية لعام 1970

2- م.م.ن.ل : الدور التشريعي الثالث عشر ، العقد العادي الثاني ، محضر الجلسة الأولى ، 16 تشرين الأول ، 1973.

قائمة المصادر والمراجع :

1. أبو هلال. محمود عادل: _ تطور العلاقات اللبنانية الفلسطينية 1948-1975، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ، غزة ، 2006.
2. البدوي . حسن1987 : _ حرب رمضان الجولة العربية الاسرائيلية عام 1973،ط5، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.
3. الجبوري، حمد حسن: حزب الكتائب اللبنانية ودوره السياسي 1970 _1989 ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ،2012 .
4. جرادوف. فلاديمير 2016: _ مصر من عبد الناصر إلى حرب أكتوبر، تر أنور ابراهيم، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة .
5. الجعافرة. إخلاص سليمان2011: _ العلاقات السياسية العراقية السعودية بين عامي 1958-1990، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن.
6. الجسمي. محمد عبد الغني1989 : _ مذكرات حرب اكتوبر 1973، مطابع شركة البيت، باريس.

7. الجنوبي. مصطفى 2007: _ ترسيم الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية وأبعادها السياسية والعسكرية 1920–2000، دار المجلة البيضاء، بيروت.
8. الحجازي ، فهد د. ت_: الحروب الأهلية اللبنانية على خارطة الهجمة العالمية، ط1، دار الفارابي للنشر، بيروت .
9. الحوت. شفيق2003: منظمة التحرير كما يراها شفيق الحوت ، شاهد على العصر، حلقة 5.
10. رعد. ليلى2005: _ تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والاجتماعي ،ط1، مكتبة السائح ، بيروت .
11. .الزبيدي. حسن2013 :_ الموسوعة السياسية العراقية، ط2، مؤسسة العارف للأعمال ، بيروت .
12. الزين. حسن1988_ حرب تشرين في مواقف ومشاهد من العدو ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، د. م. ن.
13. سخنيني. عصام1983:تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ، مجلة شؤون فلسطينية، ع15.
14. سعيدي، سعيد1998: _ معجم الشرق الأوسط ، ط1، دار الجبل، بيروت.
15. الشاذلي. سعد1988: _ حرب أكتوبر، مذكرات، مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، باريس.
16. الشناق. عبد المجيد2014: _ التاريخ السياسي للعلاقات الأردنية السورية منذ الاستقلال حتىعام1976، مجلة الجامعة الأردنية ، مج41.
17. صحيفة الأنوار اللبنانية ، ع4688، بيروت ، 24تشرين الثاني
18. عبد الغني . محمد2011 : _ الأوضاع الداخلية اللبنانية 1970–1980، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد .
19. عويد. خالد1995: _العلاقات الأردنية _ الفلسطينية ماضيا" وحاضرا" ومستقبلا" ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، مج6، ع24..

20. غربال. محمد شفيق1987: _ الموسوعة العربية الميسرة، مج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت.

21. غنام . رياض2012: معجم حكام لبنان 1922–2008، ط1، دار بلال للنشر، بيروت ، 2012.

22. كعوش. يوسف1993: _ الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية 1947–1986، ط2، دار الفلاح للنشر، عمان.

23. الكيالي . عبد الوهاب1979 : _ الموسوعة السياسية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

24. الكيلاني. هيثم1991: _ الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

25. المطيعي . أحمد 1995: _موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، ج1، دار الشؤون الثقافيه العامة ، بغداد.

26. منظمة الطليعة العربية في تونس، دور الجيش العراقي في حرب اكتوبر عام 1973، منشورات الطليعة، تونس، 1987.

27. منظمة الطليعة العربية1995_ : أيلول الأسود (النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية)، منشورات الطليعة، تونس.

28. الهيتي. محمد 2017:موقف العراق من الأحداث السياسية العربية1968–1979، أطروحة دكتوراه ، جامعة الأنبار، العراق.

29. هيكل. محمد حسين1975: الطريق إلى رمضان، دار النهار ، بيروت .

30. .الوحيلي . عمار2019: _ كامل أسعد ودوره السياسي في لبنان 1933–2010، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة ميسان.